مكتبة المحبة
البابا كيرلس السادس
هبة السماء
بقلم
القمص لوقا الأنطونى

البابا كيرلس السادس

هبة السماء

بقلـم

القمص لوقا الأنطونى

الكتاب : البابا كيرلس السادس هبة السماء

المؤلف : القمص لوقا الأنطونى.

الطبعة : الأولى ٢٠٠٣م.

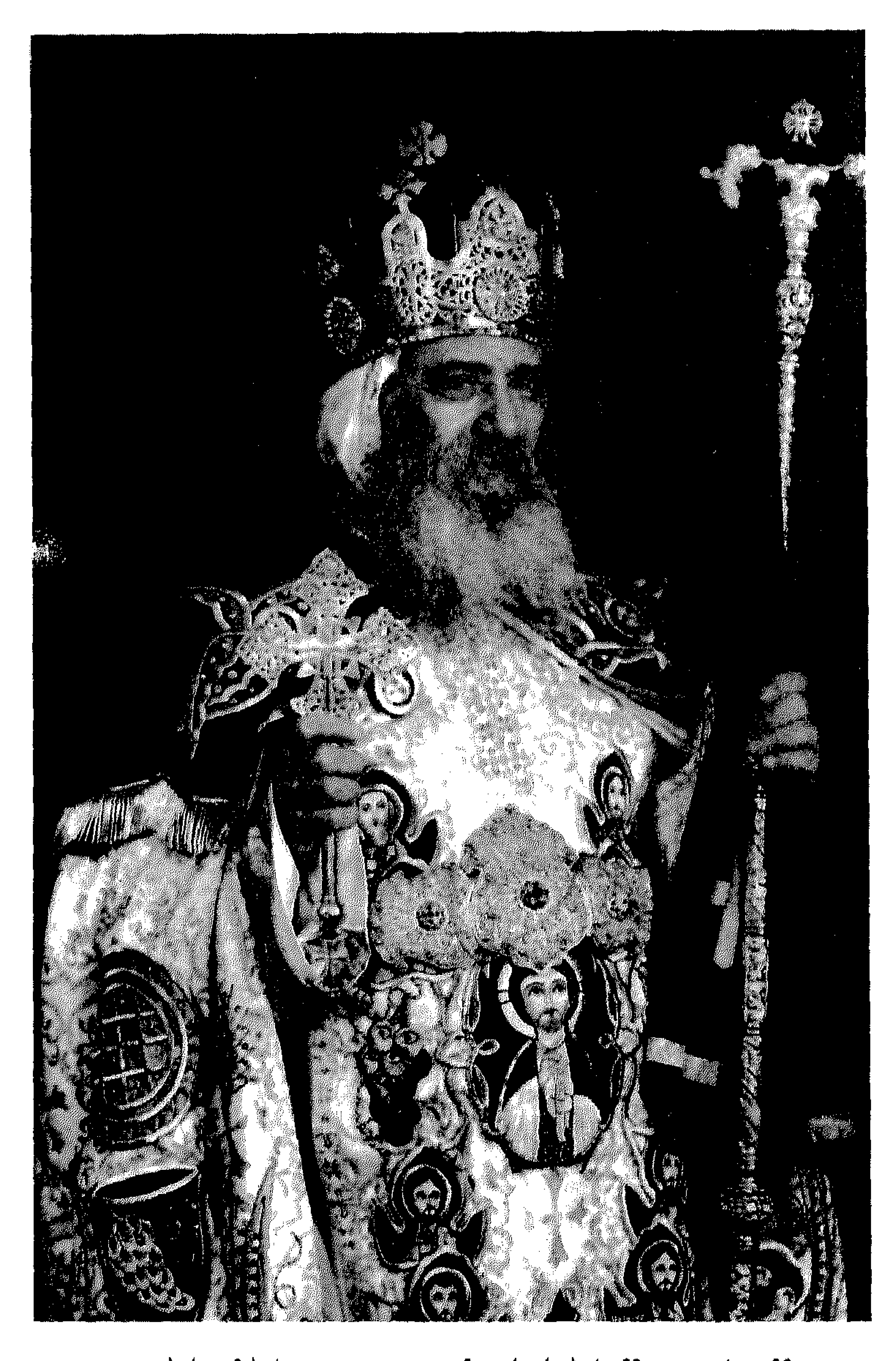
المطبعة :

النشر والتوزيع : مكتبة المحبة ٣٠ ش شبرا مصر ت : ٥٧٧١٤٤٨.

جمع وتصميم الغلاف : شركة فاين للطباعة ت : ٤٨٢٤١١٣

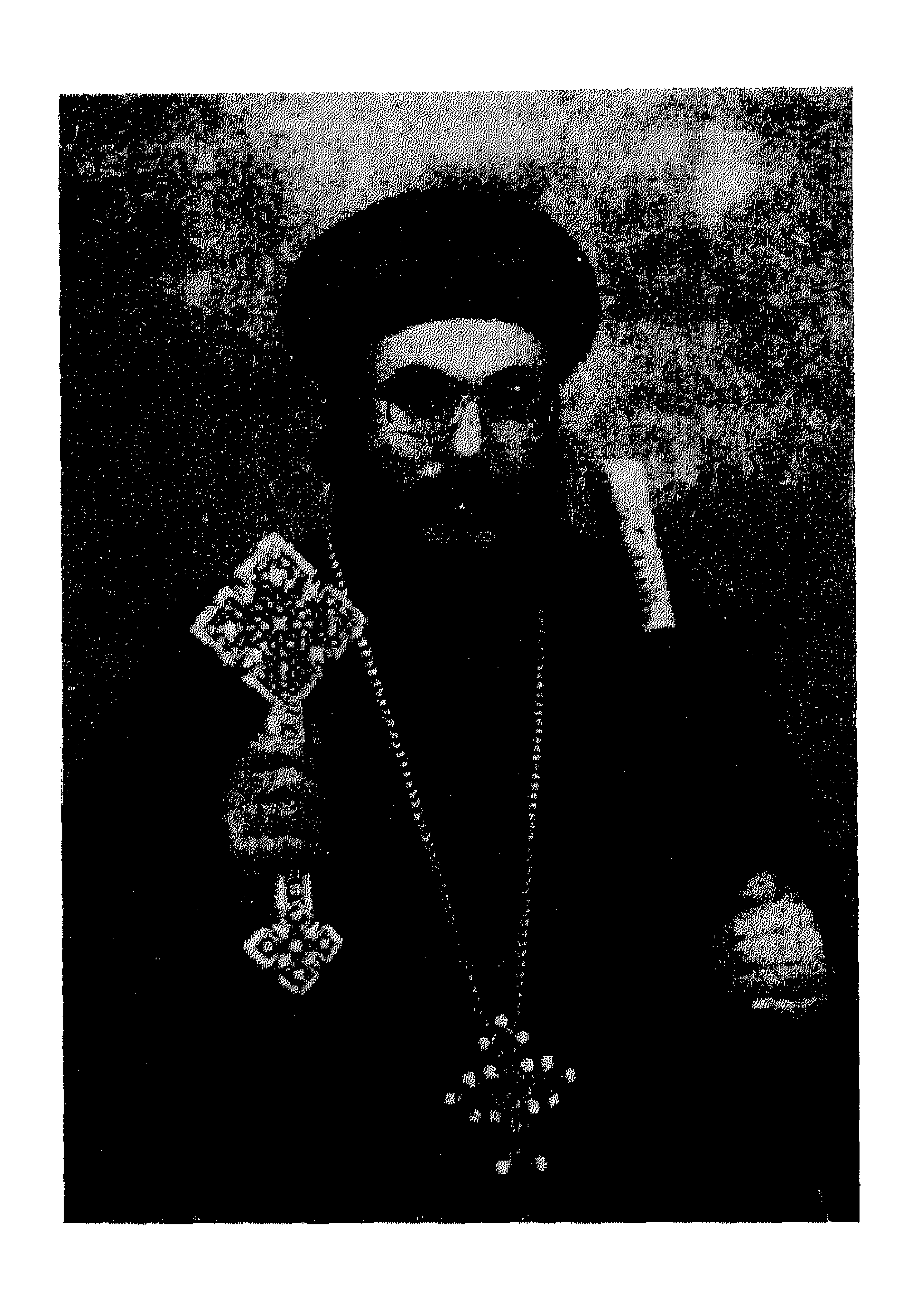
رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠٠٥/٥٥٢٤

الترقيم الدولى : 977-12-0995-4



قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



نيافة الحبر الجليل الأنبا يسطس

أسقف ورئيس دير الأنبا نطونيوس بالبحر الأحمر



القمص لوقا الأنطونى

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

مقدمة

مرت اثنين وثلاثون سنة على انتقال **قداسة البابا كيرلس السادس** إلى دار البقاء فى أورشليم السمائية بعد أن "جاهد الجهاد الحسن" (٢تى ٤ : ٧). فلقد كان أميناً فى خدمته مضحياً حتى بأعز شئ عنده ليرى نتيجة عمله بفرح واغتباط "ولكننى لست أحتسب لشئ ولا نفسى ثمينة عندى حتى أتمم بفرح سعى والخدمة التى أخذتها من الرب يسوع لأشهد ببشارة نعمة الله" (أع ٢٠ : ٢٤).

ولا عجب إن رأينا فى قداسة البابا كيرلس هذه الأمانة لأننا نرى أن مثله الأعلى الرب يسوع المسيح خدم بهمة ونشاط حتى بذل دمه عن حياة العالم.

إن قداسة البابا كيرلس السادس هبة من السماء، إنه وديع ومتواضع لا يشغله عن الصلاة أى شاغل لرفع شأن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية المجيدة بكل ما أوتى من قوة الإيمان والصلاة. وينطبق عليه قول المرنم: "أما أنا فصلاة" (مز ١٠٩ : ٤).

والأنبا كيرلس السادس لم يبنِ النفوس بالصلاة فقط بل قرن صلواته بأصوامه ملتزماً فى الجهاد الروحى المزدوج بقول رب المجد لتلاميذه حينما سألوه عن السبب فى عجزهم عن شفاء الولد المصروع: "هذا الجنس لا يخرج إلا بالصلاة والصوم" (مت ١٧ : ٢١)، (مر ٩ : ١٤ - ٢٩).

وفى مايو ١٩٦٨م انعقد مؤتمر صحفى بالدار الباباوية برئاسة نيافة الأنبا غريغوريوس أسقف عام للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية والبحث العلمى وتقدم الصحفى ميخائيل خليل، عند انفضاضه، إلى البابا الوقور بسؤاله عن السبب فى عدم ذهابه لرؤية التجلى، وعدم توقيعه على البيان البابوى، وعدم رياسته المؤتمر الصحفى أجاب قداسته: "أرى أم النور منذ حداثتى وقد لمست عجائبها فى بيتنا سنة ١٩١٠ حين ظهرت عندنا بملابسها النورانية ووهبت الشفاء لمريض بالمنزل وظلت صورتها مصدر إشعاع بالبركات فى بيت أسرتى التى وضعت على إنارة القنديل الموضوع أمام الصورة. والآن وقد شهدت الملايين ظهور السيدة العذراء، وتناقلت أنباءه صحف العالم شاهدين على إنه ظهور فريد فى تاريخ المسيحية، فإننا نسجد لله مسبحين بحمده".

"أما عن المؤتمر الصحفى فقد كان بإرشادى، وبعد بحث وترو أصدرت بياناً بالحقائق التى جُمعت ووقعت عليه وأمرت بطبعه وتوزيعه، وانتدبت ثلاثة أساقفة لينوبوا عنى فى حضور المؤتمر وسوف أتوجه لزيارة الكنيسة فى الوقت الذى يختاره الله لأقوم بالصلاة فيها كعادتى المتبعة فى جميع الكنائس. وسيكون ذهابى بعد أن يتأكد كل الناس من واقعية الظهور مستهدفاً أن لا يقال إننى أوحى إلى الناس بأن يفعلوا طبق ما أفعل".

ألا تبرهن هذه الكلمات عن التواضع العجيب الذى إزدان به قداسة البابا كيرلس السادس؟

ولقد وضح تماماً ما يمتع به قداسة البابا من الصيت الحسن ـ بل إنه مازال يتمتع بهذا الصيت. ومن الأصداء البديعة لهذا الصيت ما رواه القمص سوريال، وهو: "عندما كنت فى روما سنة ١٩٦٩م لحضور مؤتمر للقانون الكنسى سعدت بزيارة البابا بولس السادس وقلت له: إننى أحمل إليك تحيات قداسة البابا كيرلس السادس. فردّ علىّ بقوله: إن كرسى كنيستكم يتبوأه الآن رجل قديس ورجل صلاة. قل له أن يصلى من أجلى".

وكثيراً من الأحداث ما يبهت أمامها الإنسان. ومن هذه الأحداث التى بهت أمامها الشعب القبطى بل وأحس بالأسى أيضاً أن رجل الصلاة الذى بدا أمامهم عملاقاً حتى من الناحية الجسمية قد أصيب بانسداد فى الشريان التاجى اضطره إلى ملازمة مخدعه طوال خمس سنوات! وعلى طول الأيام، وقف الناس فى حيرة كلما رأوا باراً يضام. وأمام هذه الحيرة يرن قول المزمور: "طوبى للرجل الذى أخترته يارب. رتب مصاعد فى قلبه فى وادى البكاء" (مز ٨٣ فى الأجبية) ثم ألم يقل الآب الرحيم لرسول الأمم حين تضرع ثلاث مرات لينال الشفاء من شوكة الجسد: "تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل" (٢كو١٢: ٩).

وكان رجل الله ذات مرة فى مريوط، فى فترة من فترات هدوء الألم. وذهب لزيارته القمص داود مرقس حبيبه منذ أن عاش فى الطاحونة. وحينما أزمع الكاهن المكرم على مغادرة الدير، سأل باباه المحبوب: "عاوز منى حاجة علشان أنا مسافر؟" أجابه بوقاره المعهود: "لا أنا كمان مسافر بعدك بشوية" لقد عبر كلاهما وقتئذ عن قرب رحيلهما عن هذا العالم،

عبرا عنه بهدوء وطمأنينه لأن روح كل منهما كانت تردد قول بولس الرسول: "لى اشتهاء أن أنطلق..." (فى ١ : ٢٣).

وهذه الشهوة للانطلاق نحو السيد المسيح تحقق يوم ٩ مارس سنة ١٩٧١ ـ أى أن باباويته لم تدم غير إحدى عشرة سنة وعشرة شهور.

وبعد مرور سنة على انتقال الأنبا كيرلس السادس، وتنفيذاً لوصيته نُقل جثمانه الطاهر ليُدفن تحت مذبح الكاتدرائية التى كان قد بدأ تشييدها فى دير مارمينا ولكنه لم يعش ليراها كاملة. وحين وصل موكب الجثمان الطاهر إلى محطة بهيج أخذ المطر يهطل بغزارة بعد أن كان قد أنقطع لفترة طويلة. فقال ساكنو المدن والقرى إن السماء تعبر عن مشاركتها حزن الكنيسة على فقدها الراعى الأمين. أما العرب المقيمون بالمنطقة فقالوا إنه أتانا بالخير والبركات شأنه فى ذلك شأنه حينما كان فى وسطنا على الأرض. لأنه فى كل مرة حضر إلى منطقتنا كان حضوره بشيراً بالرخاء.

إن المعجزات التى أجراها الله على يدى قديسه رجل الجبال البابا كيرلس السادس فى حياته وبعد انتقاله وفيرة للغاية، وهى مازالت تحدث إلى الآن.

أخيراً لو أننا تأملنا مدة باباوية الأنبا كيرلس السادس لوجدناها قصيرة فى عدد سنيها. ولكن إذا ما تأملنا الإنجازات التى تحققت فيها فى شتى المجالات تصورنا أنها طويلة. فالدرس الذى يشاء رب الكنيسة أن يؤكده لنا من خلال هذا البابا الجليل هو أن تقاس بالمحبة والعمل، وأن مطالعة هذه السيرة القدسية ليس لمجرد الزهو والمباهاة ولكنها بالأولى لنسعى بموجبها بأن نعيش كما يحق بالدعوة التى دعينا إليها وللاسم المجيد الذى نحمله.

لذلك نكرر مع جميع محبى قداسة البابا كيرلس هذا الشكر تحية وإجلالاً له:

بابا كيرلس شكراً لك

+ شكراً لك ... باقات محبتك التى تطوق بها أعناقنا.
مع كل نداء إلى الله باسمك.

+ شكراً لك... رحيق حنانك الذى يغمرنا به قلبك الحانى الكبير.

+ شكراً لك... نفحات روحك التى تثير فينا حمية مقدسة.

"فذكرى الصديق للبركة" (أم ١٠ : ٧)

+ فى كل عام تعطينا خبزاً من ثمر الإيمان

وتقدم أوداً من نور الرجاء وتشبعنا دسماً من ثمر المحبة

"فثمر الصديق شجرة حياة" (أم ١١ : ٣٠)

+ فى كل عام تقدم بياناً لربحك.

وموجزاً لتجارتك .... وإعلاناً عن كنوز خزائنك.

+ وحمداً لله فربحك نفوس.

وتجارتك خلاص .... وكنوزك بركات.

"وأخذت الأكاليل زينة" (ابن سيراخ ٣٢ : ٣)

+ فى كل ذكرى لرحيلك نجدك مقبلاً نحونا.

+ وفى كل ذكرى لنياحك نحبك كأنك مازلت تتعب لأجلنا.

+ وفى كل ذكرى لسفرك نجدك حالاً فى وسطنا.

"فالصديق أساس مؤبد" (أم ١٠ : ٢٥).

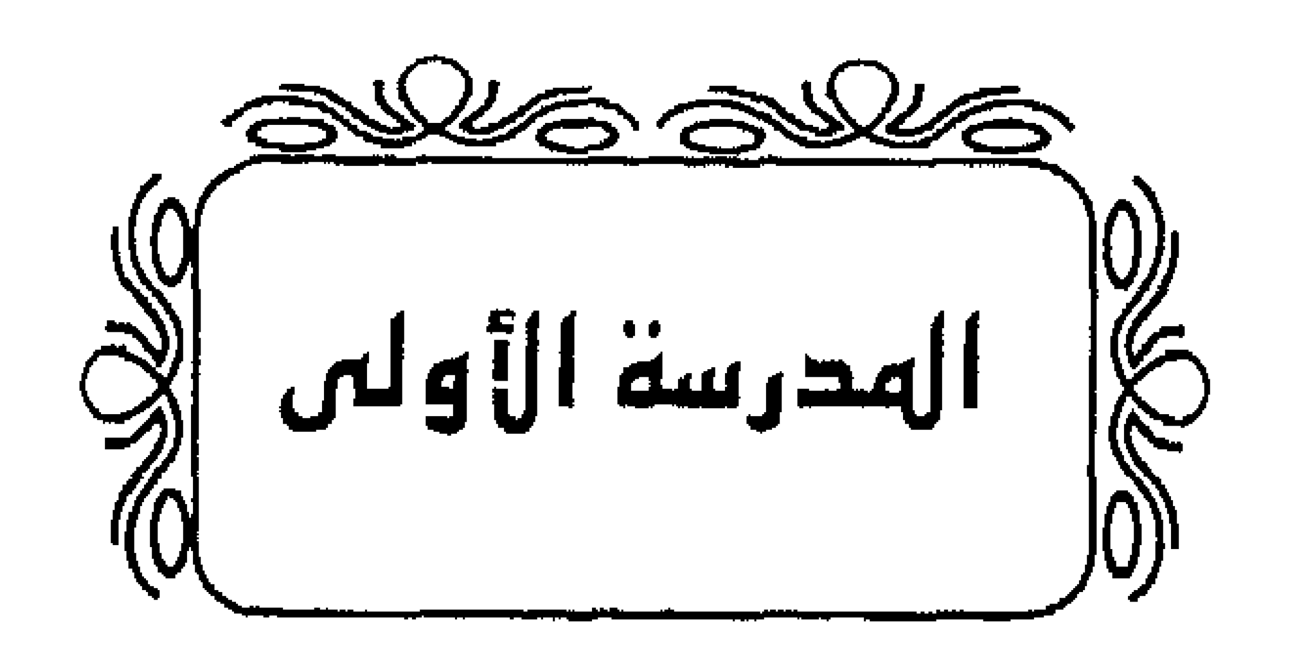
ولربنا وإلهنا المجد والإكرام والسجود إلى الأبد آمين

القمص لوقا الأنطونى

٩ مارس ٢٠٠٣م
٣٠ أمشير ١٧١٩ش) **تذكار نياحة قداسة البابا كيرلس السادس**

قداسة البابا كيرلس السادس
من الطفولة إلى الرسامة
من عام ١٩٠٢ م إلى عام ١٩٥٩ م

الفصل الأول



المدرسة الأولى

ينتمى البابا كيرلس السادس إلى عائلة زيكى التى نزحت من الزوك الغربية ـ بصعيد مصر فى أواخر عهد المماليك ـ إلى بلدة طوخ النصارى بالمنوفية. وكان والده (يوسف) شماساً مشهوداً له بحسن السيرة وجمال الصوت والخط. ويحلو له أن يقضى وقت فراغه فى رحاب البيعة، ليعلم الشمامسة الصغار الألحان والكتابة والحساب، أو يقوم بنسخ الكتب بخطه الجميل... وعاش متمسكاً بتعاليم الكنيسة، مواظباً على الصلاة، حريصاً على الأصوام. والمتعة العائلية سهرة يلتف فيها الأبناء حول والدهم يقرأ لهم فى الكتاب المقدس. والأم مثالية فى معاملة أبنائها حريصة على أن تؤلف بين قلوبهم وتنمى محبتهم لبعض، وقلما تعاقب أحدهم. وكانت سير القديسين التى يرددها الوالد على مسامعهم حلوة فى أفواههم، وصورهم التى تملأ أركان البيت، ماثلة أمام عيونهم، فيقدسونهم ويحفظون مواعيد أعيادهم ويحتفلون بها، إما بكنائسهم أو بالمنزل. ويحرصون على زيارة كنيسة السيدة العذراء ببلدتهم طوخ النصارى فى ٢١ بؤونة من كل سنة، وبكنيستها ببلدة العطف بالبحيرة فى ١٥ مسرى، وكذا عيد الشهيد العظيم مار جرجس. **أما عيد الشهيد مارمينا العجايبى. فكان له أثر عميق فى نفوسهم وأحب الأعياد إلى عازر. يذهبون سنوياً لبلدة أبيار غربية فى عيده، ويمكثون بالدير أسبوعاً. وقد انطبعت هذه الأمور على قلب عازر، وتركت فيه أحسن الأثر.**

عمل الوالد لدى أحد كبار الملاك وكيلاً عاماً لجميع أعماله بالغربية والمنوفية والبحيرة، وأزدهرت على يديه تجارة هذا الرجل وفلاحته، فأحبه وأجله.

واستقر فى مدينة دمنهور، وأنجب ثلاثة أبناء: حنا ثم عازر (البابا كيرلس السادس) فى ٢ أغسطس سنة ١٩٠٢، وميخائيل (القمص ميخائيل). وجعل من بيته محط لرحال الكثيرين خاصة الرهبان الذين كان يطيب لهم الإقامة به لما يلاقون فيه من كرم الوفادة.

إنه من نصيبنا :

كان من بين المترددين شيخ متقدم فى الأيام، كلت عيناه لكبر سنه، يدعى القمص تادرس البراموسى، وكان يطوف البلاد مع قائد له يدعى ساويرس ليجمع عوائد الدير السنوية ممن اعتادوا أن يقدموها. وكان عازر وهو لم يتجاوز الرابعة من عمره يأنس بهذا الراهب، ويرتاح لبهاء طلعته وجمال لحيته البيضاء، ويمضى كل أوقاته يمرح بجواره. وفى ليلة نام على ركبتيه، فجاءت والدته تعتذر للراهب، وتحمل الصبى عنه فقال لها: «**دعيه لأنه من نصيبنا**». **وقد كان، فصار عازر حقاً من نصيبهم**. فكان لا يحلو له أن يلبس بدلة جديدة إلا وفوقها مريلة من القماش الأسود اللامع، مثل التى يرتديها أبونا تادرس. وقد أحزن هذا الإصرار الشديد والديه فى بادئ الأمر، ولكنهما سلما فى النهاية بالأمر الواقع.

نعم لقد صار من نصيبهم. أذكر أن عازر كان يحتج على والديه عندما يرى المائدة ممدودة وعليها العديد من أنواع الطعام. كان يقول: "لماذا نأكل نحن هذه الأطعمة، والآخرون يأكلون الخبز الجاف؟" وحدث فى يوم رفاع صوم كبير، أن ازدحمت المائدة بأطايب الطعام، فثار عازر، وقال لأمه أمام أبيه: "إننا نأكل كل يوم من هذا الطعام الفاخر، وبجوارنا عائلة "الكردى" (رجل تركى أقعده الكبر يعيش عيشة الكفاف مع عائلته) فقيرة محتاجة، ألا يحسن إهداء هذا الطعام لهم من أجل المسيح الذى سنصوم له باكراً، ونكتفى نحن بوجبة متواضعة". انشرح قلب والديه لهذا الشعور النبيل، وعندما ذهبوا إلى عائلة الكردى بالطعام، استقبلتهم بالدهشة والاستفسار. ولما علموا أن صاحب هذه الفكرة هو عازر قبلوه ودعوا له.

نعم لقد صار من نصيبهم : كان بالبلدة كُتاب لفقيه ظريف يدعى الشيخ أحمد غلوش، زار عائلة عازر، واقترح على والده أن يرسله أثناء الدراسة للكتّاب. فوافق والده، وواظب عازر على التردد عليه، ووجد فيه متعة جميلة، إذ اقترح الفقيه عليه يوماً أن يحضر معه "إنجيلاً" ليدرس فيه، فأعطاه أبوه إنجيل يوحنا مكتوباً بحروف كبيرة. وكم دهش الجميع فقد حفظ عازر، والفقيه إنجيل يوحنا.

انتقلت أسرة عازر إلى الإسكندرية حيث عمل والده وكيلاً لدائرة "أحمد يحيى باشا" والد "أمين يحيى باشا" و "عبد الفتاح يحيى باشا" رئيس وزراء سابق. وكانت الدائرة مركزاً من مراكز الحركة الوطنية، ومقراً لرجال الوفد بالإسكندرية. وكان لعازر دور فى هذا الميدان، أظهر فيه حبه لوطنه وتفانيه فى خدمته.

بعد إتمام عازر دراسته الثانوية التحق بشركة "كوكس شيبنج للملاحة"، وكان رئيسه المباشر لبنانياً، صديقاً حميماً اسمه "الفريد فاضل" ظل يعمل إلى وقت قريب مديراً بشركة مصر للسياحة. وكان المدير العام أستراليا، متشدداً فى معاملته للموظفين، فخافوه وتجنبوا مقابلته، وكان يقف أحياناً على رأس السلم فى مواجهة الباب العمومى (مبنى البنك الأهلى بشارع صلاح سالم بالإسكندرية الآن) وذلك لمراقبة حضور الموظفين صباحاً.

وكانت أعمال عازر تبدأ الساعة التاسعة صباحاً، فكان يعرج على الكنيسة المرقسية يومياً قبل ذهابه للعمل، وتصادف يوماً عند حضوره أن وجد المدير العام واقفاً على السلم، فصعد وحياه، فسأله عن سبب تأخره فى الحضور فعرفه أن عمله يبدأ الساعة التاسعة كل يوم، وتركه وشأنه.

فقال المدير لرئيسه المباشر: "هذا الشاب علمنى كيف احترمه، وأعجبنى فيه رباطة جأشه، وحسن تصرفه، ولم يتجنب مقابلتى كما يفعل زملاؤه".

أمانته :

كلف يوماً أن يشرف على الإجراءات الجمركية الخاصة بأمتعة أحد كبار القواد الإنجليز العائد إلى بلده. وفوجئ عازر عند فتح الحقائب فى صالة التفتيش، بوجود حافظة نقود القائد فى طيات ملابسه، فسلمها له المفتش وكان يدعى "إبراهيم يوسف" بعد أن حرزها، وبعد ذلك عاد عازر إلى الشركة وطمأن المدير العام على إنهاء الإجراءات، وسلمه حافظة النقود وأختامها سليمة. وكان القائد يجلس إلى جوار المدير فانفرجت أسارير وجهه، وأخذها منه شاكراً، وقدم له مائة جنيه أسترلينى مكافأة له على أمانته فرفض بأدب رغم الحاحهما عليه بشدة، ثم حياهما وانصرف.

وفى صباح اليوم التالى زف إليه رئيسه المباشر بشرى صدور قرار بزيادة مرتبه عشرة جنيهات دفعة واحدة، وكان لهذا القرار صدى كبير بين زملائه، إذ لم يمضِ على منح العلاوات الدورية سوى شهور قلائل.

وهكذا تدرج عازر فى عمله، محوطاً بالتقدير والثقة من الجميع، وأصبح يتقاضى مرتباً كبيراً يحسده عليه أقرانه.

الاستعداد للرهبنة:

ظهر حبه لله واضحاً فى سلوكه خلال هذه الفترة من عمره فقد كان :

يقضى وقت فراغه فى الكنيسة مواظباً على حضور القداسات والصلوات

يمضى الليل فى حجرته ساهراً يقرأ الكتب المقدسة، أو يصلى.

يبغض المزاح : فيستاء عندما يجد أفراد أسرته يضيعون وقتهم فى سمر ومزاح. وما كان يتركهم فى مزاحهم إلا بعض الوقت ثم يعود إليهم ويقول بوجه باسم: "ملأتم الهواء كلاماً". ويحول الجلسة إلى تأمل فى تعاليم الله، ويخرجون منها بالكثير من الفوائد.

يمنع أهل منزله من دخول حجرته أو معرفة محتوياتها إذ كان يعتبر حياته فيها تدريباً على حياة القلالى والوحدة.

سارت أموره على هذا النحو، ولم يدرك أحد أنه يعد العدة لحياة جديدة أفضل. وفى غفله منا جميعاً جهز ملابس الرهبنة، واللوازم الأخرى التى سيحتاج إليها فى حياته الجديدة.

الإستقالة:

يقول السيد/ حنا يوسف عطا شقيق قداسة البابا :

فوجئت يوماً بمحادثة تليفونية يطالبنى فيها محدثى بالحضور لمقابلة مدير عام الشركة التى يعمل بها عازر. فأثار هذا الطلب مخاوفى إذ أن فى عهدة شقيقى أموالاً طائلة تصل أحياناً إلى آلاف الجنيهات لتصريف الأعمال اليومية للشركة. ولكن محدثى ـ وهو رجل صديق ـ طمأنى. وتوجهت لمقابلة المدير العام الذى فاجأنى بخبر غريب، أن عازر قدم له استقالته وإنها جاءت فى عبارة موجزة:

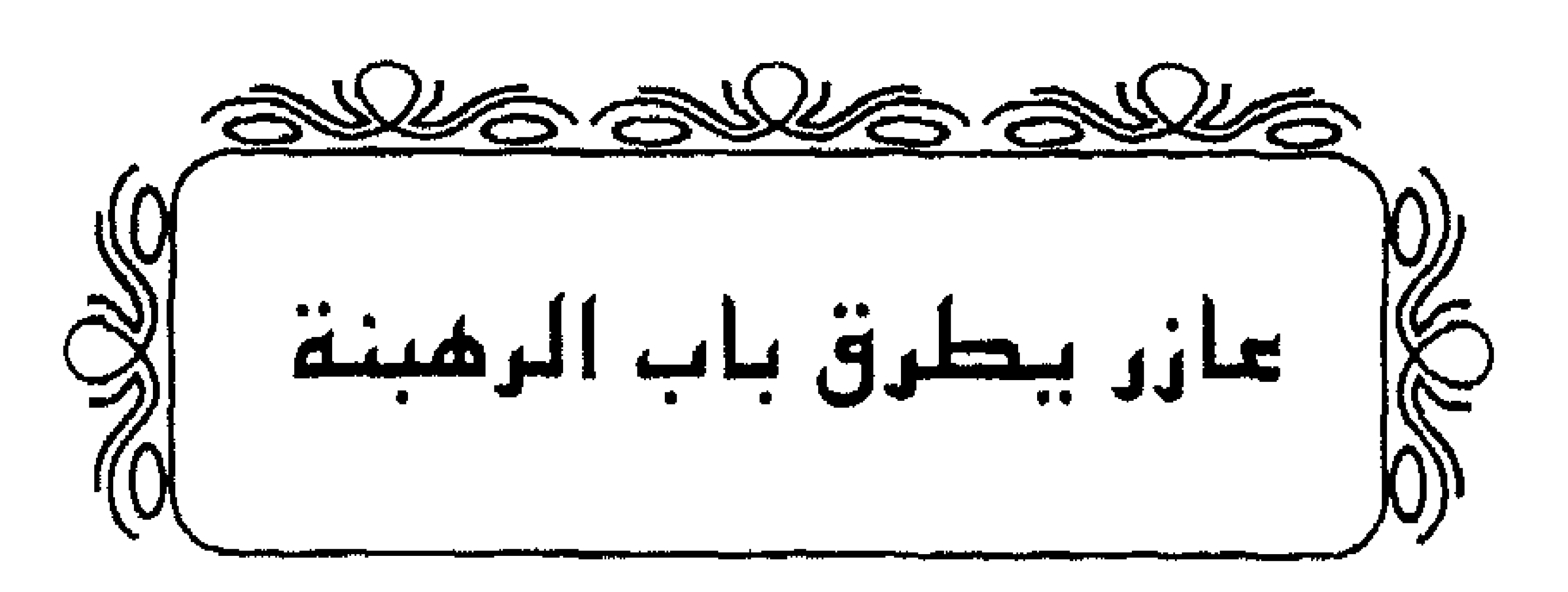
"بما أن لدّى أعمال هامة لا يسعنى أن أتخلى عنها، فلذلك أقدم استقالتى من العمل، وأرجو أن يتم قبولها حتى نهاية يونيو ١٩٢٧"

سألنى المدير: "أى عمل هذا الذى يفضله عازر على عمله هنا، وعلى مركزه الممتاز". فأكدت له جهلى بأمر هذه الإستقالة، ووعدته باستطلاع الأمر.

وعند المساء ـ وفى جلسة عائلية ـ سألنا عازر عن سر هذه الإستقاله فأجاب: "أيهما أفضل حياة البر والقداسة والسعادة الحقة، أم حياة الشقاء والكد والتعب فيما لا ينفع. وماذا يفيد الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه، أو ماذا يعطى فداء لنفسه" (مت ١٦ : ٢٦)

أشعلت هذه الكلمات نار حرب لا هوادة فيها. تضافر الأهل والأقارب والأصدقاء لاقتلاع هذه الفكرة من قلبه ناصحين إياه بالحرص على ما وهبه الله من توفيق. ولكنهم لم يفلحوا، وانتصر هو على إغرائهم ونصحهم وإشفاقهم عليه. وحالفه التوفيق فى كل خطواته حتى تم له ما أراد، وأصبح راهباً بدير البراموس. ولدخوله الدير وانتظامه فى سلك الرهبنة قصة أخرى.

الفصل الثانى



ذهب عازر لمقابلة الأنبا يؤانس الذى كان وقتها مطراناً للبحيرة والمنوفية ووكيلاً للكرازة المرقسية، والتمس منه أن يقبله راهباً.

فسأله : من تكون، ومن أى البلاد؟ فلما علم أنه من عائلة زيكى ـ العائلة الصديقة منذ زمن بعيد، ـ وإنه ابن يوسف عطا، قال له: "أين أبوك وشقيقك؟ ولماذا لم يخبرانى برغبتك هذه؟ لا شك أنهما يرفضانها، فإن لم يحضرا معك ويوافقا على طلبك، فلن أقبل رهبنتك البتة".

عاد عازر إلى البيت حزيناً تلك الليلة، وتصور الأهل أن هناك عراكاً نفسياً فى داخله نتيجة تضارب رغباته. وظنوا أن الفرصة مهيأة ليثنوه عن عزمه، وليستمر فى عمله. فعرفوه أن مدير الشركة وعد أن يمنحه علاوة استثنائية من أول يوليو، وأعادوا على مسامعه نصائحهم المعهودة. ولكنه أظهر تصميمه على ما أراد، وإنه أمر سيتم بإذن الله. وأبان لهم أن مرجع حزنه هو ما جرى بينه وبين الأنبا يؤانس.

ولما كان والده يعرف عنه أنه لا يتراجع عما اعتزم، وإنه يقابل الصعاب بصدر رحب، وقلب ثابت، اقترح عليه أن يتقدم إلى الأسرار المقدسة، ثم يصنع بعد ذلك ما يرتاح إليه ضميره، ولن يعارضه فيه أحد.

كان أب اعترافه القمص يوحنا جرجس الكبير، رجلاً ذا مشورة صالحة، محبوباً من شعبه : شبابه وشيوخه، ويدعو عازر بعازر المبروك "لحسن سيرته. فقابله والده، وكان اليوم يوم جمعة، وأحاطه علماً بما انتواه ابنه فتناقش القمص حنا مع عازر فى الأمر، وقربه من الأسرار الإلهية.

وبعد انتهاء القداس أخبر والده صراحة أنه من صالح عازر، ومن الخير له مساعدته على إتمام قصده، لأنه يعلم طريقه جيداً، ورسم لنفسه سبيلاً مستقيماً من زمن بعيد، وهو به عليم. وأكد لوالده وقوفه بجانب عازر لتحقيق أمنيته، فقلبه يحدثه أن الله هو الذى اختار له هذا النهج المبارك.

وإزاء ذلك صحبه والده وشقيقه إلى الأنبا يؤانس فظهرت عليه علامات الرضا، ولكنه أخذ يناقش عازر بحزم وشدة مبيناً له متاعب الرهبنة ومشقاتها ووعورة حياتها، وما سيحيق به من آلام وإهانات وما سيلحقه من تجارب وحروب متنوعة، وإنه لن ينعم يوماً بالراحة وخلو البال. فأجابه عازر: "كل هذه رسمتها أمامى، **كما إنى مارست طريق الرهبنة بكل حرص منذ خمس سنوات فى بيت أبى،** وكل ما يصادفنى سوف لا يكون جديداً علىّ". فقال له: "يا ابنى إنى أرى أولاد المدن لا يحتملون مشقة الرهبنة، والقليل منهم هو الذى ينجح فى هذا الطريق "فأجاب عازر: "رجائى بالله قوى. وأنا أؤمن لو باركتنى، وسألت لأجلى القوة والتوفيق سوف أنجح، والمسيح نفسه ليس بظالم ولا ينسى تعب المحبة".

وهنا باركه الأنبا يؤانس وقال سأهيئ لك سبيل الإنخراط فى الرهبنة، فتهلل عازر فرحاً، وانحنى أمامه ساجداً عدة مرات، وعاد مع والده موفور السعادة. وقال لنا "من أنا الحقير؟ وأين أنا من مقام أولاد الملوك مكسيموس ودوماديوس اللذين تركا مُلك العالم لينالا المُلك الدائم... زهداً فى الممالك والمال ومحبة فى ملك السموات.. ياليتنى تراباً تحت أقدامهما".

والحقيقة أنها كانت ليلة قاسية بالنسبة لنا جميعاً.

فى إنتظار السفر للدير :

لازم عازر الآباء الرهبان الذين كانوا يدرسون بالكلية اللاهوتية بالإسكندرية، منتظراً يوم الإنطلاق إلى الدير... باب السماء. وبقى مدة صوم الرسل ملازماً الكنيسة ليلاً ونهاراً. وفى يوم عيد الرسل ١٢ يوليو ١٩٢٧ ذهب إلى الكنيسة مبكراً يحمل على كتفه قفة مملوءة فطيراً أعدته العائلة بمناسبة عيد رئيس الملائكة الجليل ميخائيل ورفض أن يحملها أحد عنه، أو يستقل عربة مستكثرين عليه أن يحمل القفة، وهو يرتدى بدلة وطربوشاً، ويسير هكذا فى الطريق، ويراه الناس على هذه الحالة، ولكنه قال لهم: "ألم يحمل رسل المسيح الأطهار كل منهم قفة مملوءة من الكسر مما فضل من الخمس خبزات؟" ولما وصل الكنيسة وزع الفطير معلناً أغتباطه برضى الله، وقبوله ليسلك طريق الرهبنة.

ثم أعد ملفاً ضم أوراقاً خاصة به على ضوء ما يتبع عند قبول إنسان فى عمل جديد، وإن لم يُطلب منه هذا، ولكنه صمم عليه.

التحاقه بالدير :

بعد انتهاء الدراسة بالكلية اللاهوتية عاد الرهبان كلٌ إلى ديره، ثم استدعاه الأنبا يؤانس، وحدد له ميعاد السفر إلى دير البراموس مع القس بشارة البراموسى (نيافة الأنبا مرقص مطران أبو تيج)، وزوده بخطاب توصية لأمين الدير لقبوله فى سلك الرهبنة، وزكاه بشهادة حسنة عنه وعن عائلته. وأوصى القس بشارة أنه عند عودته فى أول أكتوبر سنة ١٩٢٧ تكون الأمور قد تكشفت أمام عازر، وأن يحفظوا له ملابسه فى القصر الملحق بالدير ليستخدمها إذا ما أراد العودة.

فى صباح يوم ٢٧ يوليو سنة ١٩٢٧ بكّر عازر ورتب متاعه وتوجه إلى محطة السكة الحديد وكان فى وداعه الكثيرون من أهله وأصدقائه ومحبيه، ومن بينهم رئيسه المباشر "السيد/ الفريد فاضل" الذى أبلغه تحية مدير عام الشركة، وإنه محتفظ له بعمله ويستطيع العودة إليه فى أى وقت يشاء دون عائق. فضحك عازر كثيراً شاكراً له حسن صنيعه. واستقبل القطار بصحبة القس بشارة حتى محطة الخطاطبة. ثم قطار شركة الملح والصودا ـ الخاص بنقل النطرون والملح من "بير هوكر"(١) للخطاطبة ـ ووصلا بير هوكر عند الغروب. وكان فى انتظارهما رهبان من الدير ومعهم دواب لنقل الأمتعة... ووصلوا الدير الساعة الثامنة مساء، فاستقبلهم الرهبان بحفاوة وغسلوا لهم أرجلهم. كما هى عادة الرهبان. وقدم القس بشارة لأمين الدير "القمص شنودة" مرافقه عازر على أنه زائر من الإسكندرية من أبناء الأنبا يؤانس لذا أنزله بقصر الدير، وأدار ماكينة الكهرباء لينير القصر، وقدموا له العشاء.

وفى الصباح سلم القس بشارة خطاب الأنبا يؤانس لأمين الدير. وعرف منه أن عازر طالب رهبنة، وليس بزائر. فدق جرس الدير وحضر جميع الرهبان عند سماع دقاته ليستطلعوا الخبر، فأعلمهم أمين الدير بما كان، فاستبشروا خيراً وقالوا أن هذا أول طالب رهبنة يقابل بهذه الحفاوة، لابد أن يكون له شأن يُذكر.

---

(١) بير هوكر أو الهوكرية : قرية صغيرة قريبة من منطقة أديرة وادى النطرون.

أرشده الأمين إلى قلاية خصصها له ليقيم فيها. وكانت خالية متروكة منذ زمن وتحتاج إلى كثير من النظافة، كما أرشده إلى المكان الذى يوضع فيه الخبز، ليأخذ منه من هو فى حاجة إليه، ثم مضى.

فقام عازر وأخذ حجر الجبس قبل حرقه، ودقه جيداً فى أرضية القلاية، ورشه بالماء، فصار متماسكاً جداً، وأخرج من حقيبته ورقاً سميكاً أحضره معه، وفرش به أرضية القلاية، ورتب مكاناً لنومه، ومكاناً لجلوسه ورص حقائبه لتصبح كمائدة تتوسط المكان، وارتدى جلباباً أسوداً وطاقية، وأصبح كأنه وُلِدَ راهباً منذ زمان.

كان القس بشارة متلهفاً للإطمئنان عليه إذ لم يقدم له أحد فى الدير أية مساعدة. ولكن أمين الدير نبهه أن يتركه وشأنه حيناً من الزمن لتظهر أثار ما لقيه من معاملة فى نفسه، وليعلم قدرته على تحمل صعاب الطريق الجديد.

أما عازر فكان مواظباً على الصلوات، فإذا ما دق جرس نصف الليل، فإنه يقوم متوجهاً إلى الكنيسة ليشترك فى التسبحة والصلاة، ويعود إلى قلايته نحو الساعة السابعة صباحاً دون أن يختلط بالرهبان.

تلمذته :

وفى مساء أحد السبوت، وقد مضى على مقدم عازر عدة أيام، ولم يسأل عنه أحد. قال أمين الدير للقس بشارة، والقمص بشاى، والقمص باسيليوس والقمص عبد المسيح المسعودى، وكلهم من شيوخ الدير: "هيا بنا نتفقد الأخ طالب الرهبنة لنرى كيف حاله". فذهبوا إلى قلايته فوجدوا أمامها نظيفاً مكنوساً مرشوشاً. ولما دخلوها أعجبهم ترتيبها الجميل، وتعجبوا مما رأوا، فقال لهم القمص عبد المسيح المسعودى "أصله حارت، ومستنى السيل" أى أنه أعد ذاته لقبول سيل نعمة الله، وعند انصرافهم، ودعهم عازر بملء الاحترام، فقال له القمص عبد المسيح: "يا ابنى أن نعمة الرهبنة هى بتسليم القلب لله وهى أعظم المقتنيات، وأثمن من كنوز الأرض وخيراتها والراهب الذى افتقر باختياره وجهز نفسه ليكون جندياً أميناً للمسيح لهو أعظم من ملوك الأرض وحكامها قوة ومكانة. **وقد اتسع قلبى لك،**

وأسأل ربى يسوع المسيح أن يوفقك، ويفتح لك باب النعمة، ويهديك إلى سبيل البر، ويملأ قلبك اطمئناناً لتسير فى غربة الحياة آمناً، فلا تخاف شراً، والله معك، وعصاه وعكازه يهديانك». فسجد له عازر وقبل يديه، أما هو فقد احتضنه وقبله، وقال له: "منذ هذه الساعة قد وهبك لى الرب لتكون ابناً مباركاً" فتهلل الآباء فرحين.

ومنذ ذلك الوقت ابتدأت تلمذته للقمص عبد المسيح المسعودى الذى كشف له الكثير من أسرار الرهبنة، وطرقها المستقيمة، وتدرج على يديه فى النعمة، فصار عازر مضرب الأمثال لطاعته وعبادته ووداعته، ولاختياره أشق الأعمال كما أولى شيوخ الدير الذين تقدمت بهم الأيام عناية خاصة: يغسل لهم ملابسهم وينظف قلاليهم. ويهتم بمأكلهم وهو سعيد بهذا العمل، ولكنه ما كان يزور أحداً إلا لخدمته. وقد بارك الآباء الشيوخ جهوده، وسألوا الله لأجله.

اعتاد أمين الدير ترتيب الخدمة أول كل شهر بين الرهبان القادرين على العمل، وكان نصيب عازر أن يدير المطبخ مع راهبين آخرين، حدث ذلك فى بدء صوم الطاهرة العذراء أم النور أول مسرى ١٩٢٧ . فقام عازر ونظف الأوانى النحاسية، ورمم كوانين المطبخ، وأعتنى بمياه الشرب. وغسل الجرار الكبيرة جيداً حتى صارت صالحة لحفظ مياه الشرب. وملأ جرة لكل شيخ غير قادر على الذهاب إلى طلمبة المياه. وقد صادف هذا العمل ارتياحاً عظيماً من الآباء الذين قدروا له حسن صنيعه. وكان رائده القمص عبد المسيح المسعودى يرشده، ويحثه على الاجتهاد دون أن يسمعه كلمة مديح، بل يحدثه عن فضائل الآباء الأولين، مبيناً عظم تواضعهم، وكيف كان الواحد منهم يملأ للرهبان جرارهم كل ليلة، بماء يجلبه من آبار تبعد عن الدير أميالاً كثيرة. ويرجو الله أن يتقبل أتعابه رائحة بخور حمد وشكر.

وإلى جانب اهتمام عازر بخدمة الآباء الشيوخ كان يقوم بطحن الغلال وعمل الخبز، وعجن القربان، قارناً كل هذا بمداومته على الصلاة والتناول من الأسرار الإلهية، ودراسة الكتب المقدسة وكتابات الآباء.

مضت شهور الصيف واحتفل الرهبان بمستهل سنة الشهداء. واستعد الآباء طلبة الكلية اللاهوتية للعودة إلى الإسكندرية، فاستحضر أمين الدير عازر، وعرفه بميعاد سفرهم، فقال له:

"تصحبهم السلامة، ورائدهم التوفيق. أما أنا فاسمح لى أن أسير فى الطريق الذى بدأته، ويقينى أن الله لا يترك طالبيه". فقال له القس بشارة: "أما ترسل لذويك خطاباً تطمئنهم عليك" فقال له: "لم يرسل يوسف لأبيه خطاباً عندما دعاه ليحضر لمصر بل قال **لإخوته اخبروا أبى بما رأت عيونكم وما سمعته آذانكم. وها أنا ذا الضعيف أتشبه بما فعله يوسف. وأرجو من آبائى المسافرين أن يُعلموا أهلى بما منحنى الله من نعمة على يدى آبائى.**

وبعد ذلك أشار عليه القمص عبد المسيح أن يصدر مجلة دينية باسم مجلة ميناء الخلاص. فاضطلع عازر بهذا العمل وكان يكتبها بيده رغم أن عدد النسخ لم يكن يقل عن خمسين نسخة مكونة من اثنى عشر صفحة، مبوبة تبويباً حسناً. يرسلها شهرياً لتوزع بين الإخوة والأحباء، ونجح هذا العمل الذى كلفه الكثير من الجهد والدرس والبحث، وقد استمر فى تحريرها عدة سنوات.

الراهب أرمانيوس :

كان الراهب أرمانيوس (الأنبا مكاريوس رئيس دير البراموس المتنيح) مكلفاً بتوصيل البريد يومياً إلى "بير هوكر" مستخدماً بغلاً حرون صعب القيادة، فأوقعه يوماً على الأرض وهرب فى الجبل. وتعب الراهب فى البحث عنه طول اليوم، حتى نفذت قواه، فعاد إلى الدير متأخراً فوجد الرهبان ينتظرون مجيئه قلقين، ولكن أحدهم ـ وكان مشهوراً بالغيرة الشديدة على ممتلكات الدير ـ سأله عن البغل وكيف جاء بدونها، وطلب منه ألا يدخل الدير إلا بعد إحضارها فتقدم عازر ـ رغم حداثة عهده بالدير ـ وقال له: يا أبى دعه يدخل ويستريح، وسوف يجد أحد الأعراب البغل ويحضره للدير كما هى عادتهم. ولكن هذا الأخ لم يقتنع وظل فى ثورته، فنصحه الرهبان بالهدوء وعرفوه أن رأى عازر رأى حكيم، فضلاً عن تأكيده له أنه سيشترى دابة أخرى على حسابه، وما هى إلا لحظات حتى دق الجرس، وإذ بالباب أحد العربان ومعه الدابة الجموح، فأخذوها منه، ومنحوه عطايا كان من أجملها منحة عازر.

وفى الصباح وهم يتشاورون فى أمر إحضار البريد وإرساله إلى "بير هوكر"، تطوع عازر لأداء هذه المهمة، وحاول أمين الدير أن يثنيه عن عزمه، فأصر بالأكثر، وقال إنه متمرن على

ركوب الخيل. وركب البغل الذى أخذ يشب ويجمح ليوقعه كما اعتاد، ولكن عازر ساسها حتى جعلها مطية ذلولا.

رهبنتـــه

بعد أن اكتسب عازر رضا الرهبان كبيرهم وصغيرهم، وبعد أن أطمأن شيوخهم إلى طهارة سيرته وقوة عزيمته، وفى يوم ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٨ مع بدء الصوم الكبير زكوه جميعاً ليكون راهباً بينهم. فابتدأوا بصلاة عشية، ثم صلاة نصف الليل، وسجد عازر أمام الهيكل بكنيسة العذراء الأثرية، وعن يمينه جسد أنبا موسى الأسود، وعن يساره جسد أنبا ايسيذورس قس القلالى. وتمت طقوس رهبنته ودعوا اسمه مينا وحضر القداس فى الصباح. وبعد ذلك طافوا به أرجاء الكنيسة بالشموع، والصلبان، وتبارك من أيقونات القديسين. وتقدم إليه القمص يعقوب البراموسى ـ شقيق القمص عبد المسيح المسعودى ـ **الشيخ الصامت الذى لا يتحدث مع أحد، ولا يرغب فى أن يحدثه أحد**، ولكن محبته للراهب مينا، ورغم أنه كان يظهر عدم رضاه بخدمته له ـ هذه المحبة دفعته إلى أن يتكلم، وباركه قائلاً: «**يا ابنى ليباركك الرب، ويؤهلك للنعمة، وينجح طريقك لتسير فى فلاح وتوفيق، ويفيض عليك من روحه القدوس لتكون أميناً إلى النفس الأخير على الوزنات التى سيسلمها لك يسوع لتتاجر وتربح**». وكانت هذه الكلمات مصدر سعادة الآباء، وقالوا جميعهم: "آمين اسشوبى" (نعم ليكون هذا).

دخل الراهب مينا حياة جديدة، ووضع قدمه على أولى درجات سلم جهاده بعد الرهبنة، ووضع لنفسه قانوناً سار عليه مدى حياته هو: "أن يحب الكل، وهو بعيد عن الكل". ظل يمارس العبادات الشاقة بإرشاد أبيه الروحى، فداوم على الصلوات، والأصوام، والتقرب من الأسرار المقدسة كما كان وديعاً متسامحاً لا يسلم نفسه للغضب مهما قابل من صعاب أو لقى من إهانات، دافعاً الإساءة بالإحسان.

تعاون مع إخوته الرهبان فى كل أمر... يخفف عن الشيوخ أثقال الأعمال ... يتولى خدمة الضعيف ... ويعتنى بالمريض، دون أن يبغى مديحاً أو مجداً زائفاً، بل تمسكاً بالوصية المقدسة.

كما اعتنى بمكتبة الدير ورتب كتبها ولازم قراءة الكتب المقدسة وتعاليم الآباء، فتفتحت أمامه أبواب المعرفة، وانجلت أمامه الغوامض. وقد انكب على كتابات مار إسحق السريانى العظيم فى العارفين، فأرشدته كيف يسلك الطريق الملوكى. ومن شدة شغفه بهذه الكتابات نسخها فى خمس مجلدات جلدها تجليداً حسناً، حسبما تعلم من راهب متقدم فى الأيام كان يخدمه اسمه القمص باخوم، ولما رأى أنه استفاد كثيراً من هذا الكتاب، عاود نسخه أربع مرات، طمعاً فى زيادة المعرفة والتعمق فى الدرس ولنفع الآخرين.

كما استرشد فى حياته أيضاً بأقوال قديسين كثيرين مثل أبينا القديس العظيم الأنبا أنطونيوس، والأنبا شنودة رئيس المتوحدين، والقديس مكاريوس وغيرهم كثير من المعلمين العظام.

كما تولى عمل القربان بصفة مستديمة مولياً إياه عناية خاصة، فيستخلص الدقيق الذى يعجن منه على ثلاث أو أربع مراحل حتى يصير نقياً خالياً من كل شائبة ويخبزه بنفسه.

القس مينا

فى يوم الأحد المبارك الموافق ١٨ يوليو سنة ١٩٣١ سيم قساً باسم "مينا"، وصلى قداس الرسامة الأنبا ديمتريوس مطران المنوفية الأسبق. وكان من بين الحاضرين المرحوم/ يوسف جرجس سكرتير البابا فى ذلك الوقت (وقد ظل سكرتيراً للبطريركية حتى توفى سنة ١٩٧٢)، وكذلك شقيقاه ميخائيل (القمص ميخائيل)، وكاتب هذه السطور حنا يوسف عطية وأيضاً المعلم ميخائيل كبير مرتلى الكنيسة المرقسية فى ذلك الوقت.

وقد ظل القس مينا يبكى طوال القداس، وأبكانا معه، وبعد ذلك طافوا به الكنيسة الأثرية بالدفوف والألحان، وأمامه الصلبان. وقد خرجت بعد نيل البركة العظيمة فرحاً لأنى شعرت بالعزاء يملأ قلبى.

وقد استأذنت البابا ـ وقتذاك ـ لاحضار بعض الأشجار لزراعتها فى حديقة الدير لتكون تذكار رسامة القس مينا، فأذن لى، وطلب منى أن أوزعها على الأديرة الأربعة الموجودة بوادى النطرون. وقد تم ذلك فى شهر أمشير التالى.

فى كلية الرهبان اللاهوتية بحلوان:

وقع عليه الاختيار للدراسة فى كلية الرهبان اللاهوتية بحلوان، فأطاع مرغماً، لأنه أحب حياة العزلة فى الدير، وانتظم فى الكلية وأظهر تفوقاً ملحوظاً. واختار له زميلاً أنس إليه وارتاحت نفسه لمصاحبته هو القمص كيرلس الأنبا بولا (مثلث الرحمات الأنبا كيرلس مطران البلينا). وقد رتبا معاً أن يقوما برفع بخور عشية كل ليلة، وإقامة القداس فى الصباح الباكر قبل بدء الدراسة. وسار هذا النظام أياماً، وكان القس مينا يتعهد بخبز القربان. ولكن هذا الترتيب لم يعجب البعض، فقاموا ليلاً وهدموا الفرن سراً. استيقظ القس مينا ـ كعادته ـ وعجن القربان، وعند الثالثة فجراً ذهب ليخبزه، فإذا به يجد الفرن متهدماً. فأيقظ القمص كيرلس على الفور، وتشاورا معاً لإيجاد حل لهذه المشكلة، ثم واتته فكرة نفذها فى الحال... ذهب إلى صاحب مخبز أفرنجى يقع فى مواجهة بيت الرهبان، وطلب منه أن يخبز القربان عنده، فرحب الرجل. وقام القس مينا بالعمل بنفسه فى اتقان أثار إعجاب صاحب المخبز. وأقيم القداس كالمعتاد، ثم عرض هو وصديقه القمص كيرلس الأنبا بولا الأمر على مدير الكلية المتنيح القمص ميخائيل مينا، فعقد مجمعاً من الآباء الرهبان، وأقروا عمل قداس يومى، بالمناوبة بين جميع الآباء من كل الأديرة بالترتيب، فاستقر هذا النظام، وأصبح متمماً لبرنامج الدراسة وصارت العشية فرصة سانحة للآباء لإلقاء كلمة الوعظ.

وقد سر المسئولون سروراً بالغاً لهذه الفكرة، وأثنوا على القس مينا والقمص كيرلس.

ترشيحه للأسقفية :

خلال وجود الأنبا يؤانس بالكلية، كانت نوبة رفع بخور عشية على القس مينا فوقف وقفة متمكن، **وألقى عظة استغرقت ساعة كاملة، أُعجب بها البابا وسر منها لأنه أفعمها بأقوال القديسين، وبالأخص أقوال مار إسحق العظيم فى العارفين**. وبعد ذلك تقدم لطلب البركة من البابا حسب الطقس. فأثنى عليه ثناءً مستطاباً، وبارك جهوده، ودعى له أن يكون عاموداً فى هيكل الرب، ثم أفصح عن رغبته لمدير الكلية المتنيح القمص ميخائيل مينا فى رسامة مطران للغربية والبحيرة، وصرح له أنه يود لو رسم القس مينا البراموسى أسقفاً لهذا الكرسى، و زف القمص ميخائيل هذه البشرى إليه ظناً منه أنها ستنال استحسانه، إلا أنه عاد

إلى قلايته مهموماً، ثم أسر لصديقه وأخاه القمص كيرلس الأنبا بولا بعزمه على السفر إلى دير القديس الأنبا شنوده رئيس المتوحدين بسوهاج ليحيا هناك حياة الوحدة. وتعب معه القمص كيرلس الليل كله لكى يرجعه عما اعتزم. ويسلم الأمر لله، ويطيع ويقبل هذه الموهبة ولكنه أصر علي عزمه.

وفى الصباح استقل القطار إلى سوهاج، ومنها توجه إلى الدير، وسبب هذا الاختفاء انزعاجاً ليس بقليل، إذ كتم القمص كيرلس الأمر عن كل أحد واستدعي شقيقه، وسئل عن مستقر القس مينا، فاندهش لهذا السؤال إذ كان خالى الذهن تماماً. وطلب إليه البحث عنه لئلا ينال غضب البابا.

رجع أخوه للقمص كيرلس الأنبا بولا، وتوسل إليه بدموع أن يكشف له سر اختفاء أخيه، فتحنن قلبه وعرفه الحقيقة.

وبعد جهود مشكورة بذلها أحد التجار بسوهاج رجع القس مينا ليلقى عتاباً، ولوماً بالغى القسوة من الأنبا يؤانس. ولكنه احتمل فى صبر، ثم كشف له مكنونات قلبه ألا وهى رغبته فى الوحدة.

وقد قدر له البابا هذه الرغبة، وصرح له بالرجوع إلى الدير ليستريح، وعليه بعد ذلك أن يتبع الطريق الذى يرسمه له أبوه ورائده القمص عبد المسيح المسعودى.

الوحـــــــدة

العودة إلى الدير :

عاد القس مينا للدير متهللاً، واجتمع مجمع الرهبان، وحاولوا اقناعه بالعدول عن ولوج الوحدة. خوفاً عليه من مخاطرها الروحية، وقالوا له: "أنت ابن الثلاثين سنة عمراً وسنوات رهبنتك خمس، فهل تريد أن تسلك طريق الوحدة الذى فشل فيه قبلك رهبان جاهدوا ثلاثين وأربعين سنة؟ ألعلك تريد الهروب من المسئولية سواء كانت بالكلية، أو بالدير؟ هذا فضلاً عن مخاطر جسدية تجعلنا نخشى عليك الإقامة فى مغارة منفرداً بالصحراء، حيث ستهاجمك وحوشها، وحياتها السامة المهلكة ولهذا كله نحن لا نوافق البتة على سلوكك

هذا الطريق الوعر".... تحمل بصبر هذه الحملة العنيفة، ثم ابتدأ يتكلم بهدوء قائلاً:

"آبائي وإخوتي، إنى أعتز بمحبتكم وغيرتكم علىّ المحبوبة لى. ولكن أتقدم إليكم بالتماس الابن الطائع الخاضع لرأى آبائه الذين ساروا فى طريق العبادة شوطاً بعيداً، ويعلمون من أسرار هذا الطريق التى تتوق نفسى إليها أكثر مما أعلم. **ويقينى أن اسم الرب يسوع يهيئ لى المسير فى هذا الطريق الضيق المؤدى للحياة لكل طالبيه بضمير نقى، وفكر خالٍ من جميع الشهوات** فاطمئنوا كل الإطمئنان، وسأكون الابن الخاضع بكل قوتى للإرشاد والنصيحة ولن أقدم على عمل أو أسير خطوة دون أن استرشد برأى أبى ورائدى الذى تفضل الله وملأ قلبه محبة، وحناناً لشخصى الضعيف".

هنا اتجهت الأنظار نحو القمص عبد المسيح المسعودى ليسمعوا رأيه فأجاب وقال: "أما من جهة القس مينا، وخطورة وجوده بالمغارة فأطمئنوا بالله. لأنه وليه القوى، وهو بقدرته سيمسك بيده، ويهديه الطريق، **وقد أطمأن قلبى لتصرفاته، لأنه يسير فى طريقه بحكمة الشيوخ، وبقلب مؤمن. وأنى أرى بعين الإيمان أن القس مينا سينجح فى طريقه، لأنه مفروز من بطن أمه لهذه النعمة**، فلا تقفوا فى طريقه حجر عثرة".

وهنا أنبرى له شيخ من الآباء غيور، وخاطبه بحدة بدافع محبته للقس مينا، وقال له: "يا أبانا ألست أنت ابن الأربعين سنة فى طريق الرهبنة هل فكرت يوماً أن تسير فى طريق الوحدة؟ أليس من أبنائنا من هم شيوخ بالدير، فهل فكر فى هذا الطريق أحد. أرجوك أن تترك هذا الراهب الصغير وشأنه، وأنصحه أن يرجع إلى الكلية لينال شهادتها، ويعود لخدمة الدير، حتى يشاء الله ويعطيه رتبة حسنة كمن سبقه من الآباء".

فأجاب القمص عبد المسيح بروح الوداعة: "دع ابنك القس مينا يسير فى طريقه، ولا تغلبنك عاطفة الشفقة، والمحبة فتمنع عنه نعم الله".

ازداد هذا الشيخ المحب حماساً، وقال له: "لماذا لم تسر أنت هذا الطريق، وكيف تدفع غيرك للمسير فيه، وهو الطريق الشاق الضيق الذى لا يقوى عليه إلا من أعانه الله، وأيده بروحه القدوس". فقال القمص عبد المسيح: "أننى احتكم فى هذا الأمر للإخوة، وسأنزل، وسينزل القس مينا معى لقرار الآباء".

ساد الصمت برهة، ثم قام القمص شنودة والقمص باسيليوس، والقمص باخوم، والقمص جورجيوس، والقمص لوقا، وقالوا بلسان واحد: "فلتكن مشيئة الرب. وليسلم القس مينا لعناية الله وإرشاد أبيه القمص عبد المسيح، والله أمين، وعادل سيهديه إلى سبيل البر ويقوده إلى طريق السلامة".

فصرخ القس مينا بصوت الفرح والتهليل : "ليكن اسم الرب مباركاً ها مطانية يا آبائى وإخوتى". وسجد لهم ثلاث سجدات اعترافاً بمحبته الغالية لهم.

فى المغارة :

عاين القس مينا المغارة التى توحد فيها وهى تبعد عن الدير مسافة ساعة سيراً على الأقدام، وكانت من قبل سكناً للقمص صرابمون البراموسى رئيس الدير الأسبق، وهى عبارة عن متسع ٦×٨ متر نقر فى الصخر لعمق ثلاثة أمتار، فوجدها تحتاج إلى ترميم، فنقل إليها ماء وجبس من الموجود بالدير بكثرة إذ كان الرهبان يحرقونه ويقومون بطحنه بطاحونه خاصة، وابتدأ فى ترميم السقف والأرضية والحوائط بمهارة وحذق. وجعل لها بابا يُرفع إلى أعلى. وبعد أن أصبحت صالحة للسكن حمل إليها جميع حاجاته، وطاولة من الخشب وجرار فخار للماء، وبعض الأوانى. كما أخذ بعض البقول والدقيق، **ولم يأخذ خبزاً حتى لا يبقى عنده أكثر من قوت يومه**. ثم ودعه الآباء، وهم يدعون له بالتوفيق، وأخذ عليهم العهود ألا يزوره أحد، وألا يهتم أحد به. وتعهد هو ـ كما أمره أبوه أن يحضر للدير مساء كل سبت ليشارك فى صلاة العشية، وليتمكن من التقرب من الأسرار المقدسة صباح الأحد. وليغسل ملابسه، وملابس الآباء الذين أقعدتهم الشيخوخة أو المرض عن قضاء حوائجهم بأنفسهم.

استقر بالمغارة، ورتب إقامته فيها كترتيب القلاية بالدير ومارس العبادة طبقاً لطريق الوحدة: من مداومة الصلاة وعمل المطانيات ونسخ الكتب، وكانت ساعات عمله اليومى عشرين ساعة.

وفى نهاية الأسبوع الأول عاد إلى الدير، وحضر العشية، وجلس مع آبائه الرهبان، وحدثهم عن قوة الله التى تسنده. ولما تواترت أسئلة الآباء عما رآه، وما كابده من مشقات

قال لهم: "إنى لم أجاهد حتى الدم، فأطمئنوا". ثم انفرد بعد ذلك بأبيه القمص عبد المسيح كاشفاً له خفايا قلبه، إذ قد عاهده قبل التوحد فى المغارة ألا يخالف له رأياً، ولا يخفى عنه أمراً. وكان الرجل يشجع قلبه ويزوده بالنصائح.

استمر الحال على هذا المنوال، واستراحت قلوب آباء الدير من جهته، إذ كانوا يرونه والسعادة بادية على وجهه، ولِمَ لا، وقد صار شريكاً للملائكة فى تسبيح الله، وتمجيد اسمه القدوس.

كانوا ينتظرون مقدمه كل يوم سبت ليأنسوا به، ويطمئنوا عليه. وكم كان منظره خاشعاً وهو عائد إلى مغارته حاملاً الماء والزاد، مرتدياً (زعبوطاً) خشن الملمس، وبيده عصاه يتوكأ عليها أو يعلق عليها حاجاته.

مع مدير كلية اللاهوت بنيويورك:

فى أحد الأيام من عام ١٩٣٣ سمع القس مينا طرقاً على باب مغارته لأول مرة منذ توحده، ففتح الباب ونظر إذ بالأعرابى الذى اعتاد أن يراه من حين إلى آخر، معه رجلان أحدهما مصرى والآخر أجنبى، فبش لهما. ودعاهما للدخول. فنزلا سلم المغارة بحذر، وأجلسهما على بطانية فرشت فوقها ملاءة بيضاء جديدة نظيفة. وعرفاه بنفسهما: فأحدهما دكتور حسن فؤاد مدير الآثار العربية فى ذلك الوقت، والآخر هو مدير كلية اللاهوت بنيويورك.

ولما دار بينهم الحديث شعر الزائر الأمريكى أن هذا المتوحد يعرف الإنجليزية، وأراد أن يتحدث معه بها (١). وكان الأب مينا قبل الرهبنة يجيدها كأحد أبنائها ولكنه اعتذر لضيفه بعدم قدرته على متابعة الحديث بها، فقد هجرها من مدة طويلة.

قال له زائره: إنى جئت إلى مصر خصيصاً إذ شرعت فى وضع كتاب عن أصل الرهبنة ونشأتها فى مصر، وأنا أحاول التعرف على تعاليم أب الرهبان جميعاً القديس أنطونيوس، وآباء برية شيهيت، وآباء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية العريقة. وقد بذلت جهداً كبيراً فى الإطلاع

---

(١) أجاد الإنجليزية عندما كان يعمل بشركة كوكس شبنج

فى مكتبة البطريركية والمتحف القبطى، كما زرت أديرة وادى النطرون، واقتبست شذرات من هنا وهناك. ولكننى أرى أنها غير كافية. واليوم طلبت من زميلى الفاضل أن نتريض فى الصحراء خارج دير البراموس، وسرنا مسافة طويلة دون هدف حتى قابلنا هذا الأعرابى، وسألنا هل ترغبون فى زيارة العابد بالمغارة، ولو أننا لا نعلم عنك شيئاً، لكن حب الاستطلاع قادنا نحوك.

فجلس القس مينا يروى حياة آباء الرهبنة مثل القديس أنطونيوس أب الرهبان والأنبا بولا أول السواح، والقديس مكاريوس أب برية شيهيت، والقديس باخوميوس أب الشركة. ثم قرأ عليهما أجزاء من كتب مار إسحق السريانى، موضحاً لهما فلسفة الرهبنة وطرقها، وكيف يعد الراهب نفسه لنيل المواهب.

استغرق الحديث وقتاً طويلاً والباحث الأمريكى يدون ما يسمع. وفى النهاية قال له أن ما جمعته من معلومات فى شهرين لهو شئ ضئيل جداً بالنسبة إلى ما عرفته منك اليوم.

ولما عزما على الإنصراف قدم له الباحث الأمريكى ما فى جيبه من ريالات وعملات فضية، قائلاً له "أن هذه هدية رمزية تذكرونى بها" ولكن القس المتوحد رفض قبول هذه العطية، قائلاً: "ما حاجتى إلى هذا المال إن محبته أصل لكل الشرور، وهو معوق طريق الوحدة. أرجوك أن ترد نقودك إلى جيبك مشكوراً، وسيكون هذا مبعث سرورى وراحتى" فنزل الرجل على رغبته، وإزداد إعجابه به، واحترامه له. أما مدير الآثار العربية فحياه بقوله: "يا أبى لقد رفعت رأس الرهبان، وشرفت الرجل المصرى، فلك منى تحية حارة، وأرجو أن أبرهن عن عمق تقديرى واحترامى لك يوماً ما" وقد حدث على ما سأذكر فيما بعد. وانصرفا متأثرين بما رأيا، ولكنهما أسفا لرفض القس مينا أن تؤخذ له صورة ليضعها فى صدر الكتاب المزمع إصداره.

لقاء آخر :

فى يوم من الأيام أراد البابا يؤانس أن يزوره فى مغارته، وكانت تبعد عن الدير نحو الساعة مشياً على الأقدام. وأراد رئيس الدير ومن معه أن يثنوه عن عزمه تجنباً للمشقة، ولكنه لم

يستجب لرجائهم. وأثناء سيرهم فى الصحراء أرسل رئيس الدير راهباً للقس مينا ليطلب إليه المجئ لمقابلة الأنبا يؤانس فى منتصف الطريق، ويوفر عليه مؤونة التعب. فجاءه مسرعاً، وسجد له قائلاً: "يا سيدى لست مستحقاً أن تتعب لأجلى. ولكن الأنبا يؤانس فطن إلى أن رئيس الدير قد دبّر حضور القس مينا، فقال له: "لا بل إنى أريد أن أخذ بركة المكان (أى المغارة) الذى صار أرضاً مقدسة بعرق وجهاد هذا المتوحد". فنزل الجميع على رغبته طائعين. فذهب إلى المغارة ونزل سلمها الضيق، وجلس على فراش القس مينا، وتذوق الخبز الذى كان يعده يومياً. كما عرفه ترتيب حياته اليومية فباركه ودعى له بالتوفيق. وعند العودة إلى الدير سار بمعيته مسافة قصيرة، فأشفق عليه الأنبا يؤانس، وأمره بالرجوع إلى مغارته فأطاع.

الرهبان السبعة:

حدث لما قصد الدير يوم سبت لعازر عام ١٩٣٦ أن شعر بتحركات غير عادية حول الدير.... خيول وجمال وجنود. فدخل مستغرباً، وعرف أنه تقرر طرد بعض الرهبان. وضع حاجاته جانباً، ودخل قاعة الإستقبال بالقصر، فوجد رئيس الدير جالساً فى الصدارة وبجانبه العمدة، وضابط البوليس والجنود، وبعض الآباء الرهبان.

فسجد أمام الرئيس، وحيا الجالسين، وقال: "يا أبانا إنى جئت لأهنئك بسلامة الوصول، وأسأل عن صحة ما سمعته حول طرد الآباء الرهبان السبعة" فقال له: "يا ابنى هذا أمر سيدنا، وأنا جئت لأنفذه" فأجابه: إن سيدنا يحزنه، ويؤلمه طرد الرهبان فى ليلة أحد الشعانين المبارك، فلا يمكن أن يرضى بقطع رجاء إخوة فى المسيح، وأنت رئيسنا وأبو الرهبان وراعيهم ومسئول أمام الله عن المريض والتائه والضال، وبيدك سلطان قوى مستمد من قوانين الرهبنة، وأحكامها الشديدة الصارمة التى تهدى الضال.

أرجوك باسم صاحب هذه الأيام المباركة أن ترجئ أمر طردهم حتى يتقدم آباء الدير بالتماس للبابا يقرر مصيرهم ومحاكمتهم داخل الدير، فلا تطردهم فى هذه الأيام المقدسة.

ثار الرئيس لكبريائه، إذ كيف يتجاسر قس حديث الرهبنة ـ وأمام هذا الجمع ـ أن يعترض أوامره، وشيوخ الدير الأقدم منه لم يفتح أحدهم فاه بكلمة. فقال له: "اسمع يا ابنى لا

تعارضنى فيما أفعل، حتى لا تكون خارجاً على طاعة سيدنا. كما أنك رجل متوحد لا شأن لك فيما يجرى الآن". ولكن القس مينا عاد ليقول له: "أسألك يا أبى من أجل المسيح الذى بذل نفسه عنا أن تتمهل، ولنتصرف بما يرضى أرواح آبائنا القديسين، لأن تعاليمهم تشفع فى المخالفين، والخارجين على القانون، وتعطى كل واحد جزاءه دون أن تقطع رجاءه". فثار الرئيس ودعى الجنود أن يخرجوا الرهبان بالقوة، وأمر القس مينا أن يبقى بالدير ولا يعود إلى مغارته حتى يطرح على البابا جريمة اعتراضه على أوامره.

فأجاب القس مينا قائلاً: "يا أبى لقد وهبت نفسى لخدمة هؤلاء الآباء الذين طردوا بالقوة وبلا رحمة، وسأكون لهم عبداً حتى يعودوا إلى ديرهم آمنين بقوة الله".

ارتاع رئيس الدير لما يعلمه من مكانة القس مينا عند البابا، وشعر أن الحقيقة لابد وأن تظهر. فأوعز للمقدس إسحق ميخائيل وكيل الدير إثناء القس مينا عن عزمه، ويقنعه بأنه ما يجب أن تكون له صلة بهذه المسألة، ولا يقحم نفسه فيها. ولكن محاولة وكيل الدير ذهبت سدى.

طُرد الرهبان السبعة، ولهم جميعاً ماضٍ مجيد فى خدمة الدير، وخرج معهم القس مينا مواسياً ومشجعاً. وقصدوا القاهرة، ونزلوا بمصر القديمة فى دير الملاك القبلى، لدى راعيه الرجل الفاضل المتنيح القمص داود (والد القمص ميخائيل داود)، فرحب بقدومهم واستضافهم ليلة بالدير كما حضر الأستاذ راغب مفتاح لزيارة القس مينا لما علم بقدومه، وكان معه القمص يوحنا شنوده راعى كنيسة المعلقة، ومرقص بك فهمى باشكاتب مديرية الجيزة، وكان قبلاً باشكاتب مديرية البحيرة، وله صلة مودة بأب القس مينا. اهتموا جميعاً بأمر الرهبان، واستأجروا لهم بيتاً من دورين، به عشر غرف، لكل راهب غرفة، وجعلوا واحدة للمائدة، وأخرى لاجتماعاتهم. وتولى القس مينا أمر شراء الحصر والبطاطين وبعض الأدوات الضرورية، واستقروا فى مقرهم الجديد حتى يهيئ الله الأمر.

وهنا تظهر صورة حقيقية لعمل نعمة الله فى هذا الراهب الوديع، كثير الحياء، قليل الكلام، يدل مظهره على المسكنة والضعف، ولكنه شجاع يدافع عن الحق بشهامة.

بادر رئيس الدير بالسفر إلى الإسكندرية حتى يمكنه الوصول للبابا قبل الرهبان واستأجر لهذا الغرض سيارة من الصحراء بمبلغ كبير وقدم شكواه ضد القس مينا، وصوره أمامه بصورة الخارج على النظام وقوانين الرهبنة، وادعى زوراً أنه هجم عليه، وأراد ضربه بعصاة غليظة لولا مبادرة الجنود للحيلولة دون ذلك.

دهش البابا، وقال: «**لا أكاد أصدق ما تقوله عن القس مينا، لأن كل تصرفاته بحكمة وتدبير، وأنت أول من يشهد له عندى بذلك فكيف يكون هذا؟**» ثم استدعى شقيقه الذى كان دائم الاتصال بالبابا، فلما حضر وجده على خلاف ما تعود، وبادره قائلاً: "أن أخاك أتى عملاً يستحق عليه قانوناً " فأجابه: "يا سيدنا أبناؤك طائعين لإرادتك". فقال له: "كيف يتدخل فى شئون الدير، ويعترض رئيسه، ويعتدى عليه بالقول، وكاد أن يشجب رأسه بالعصا". فأجابه: "أنا أجهل الأمر، ولكنى أؤكد أنه دائماً عند حسن ظنكم به، كما أن قلبى يحدثنى أن هذا الخبر غير صحيح، وعندما يفحص سيدنا الأمر ستظهر الحقيقة".

فقال له: "لقد أمرت بطرد سبعة من رهبان الدير، ولما أراد رئيس الدير تنفيذ الأمر، تعرض له القس مينا".

فأجابه: "يا سيدنا إنى أتجاسر وأعرض على مسامعكم ما يجول بخاطرى. إنى أحب دير البراموس. الذى تحبه أنت، وتدعوه دوماً دير البراموس البهى، دير البابا كيرلس الخامس، فيحز فى نفسى، ويحزن قلبى أنا الرجل العلمانى أن أسمع أن الدير طرد سبعة شيوخ من الرهبان. وإنى أرجوك أن يكون الحكم لك وحدك فى أولادك، ولا تسمح أن يسلموا لعدو الخير للسقوط، وتقطع رجاءهم".

وبناء على أمر البابا سافر الشقيق إلى القاهرة، والتقى بالرهبان، وكانت له بهم صلة مودة. وانفرد بالقس مينا، وعلم منه الحقيقة، فأخبره بضرورة مقابلة البابا الذى حضر إلى القاهرة خصيصاً لمعالجة هذا الأمر. فصمم القس مينا على مقابلة البابا بمفرده أولاً ـ قبل إخوته الرهبان ـ ليطلعه على بواطن الأمر، واشترط ألا يبقى أخوه بالقاهرة، وأن يتركه لمشيئة الله، فسافر مترقباً ما سيأتى به الغد.

ولما توجه القس مينا إلى البطريركية قوبل مقابلة غير كريمة مجاملة من البعض لرئيس الدير، فلم يكترث بهم، ودخل الكنيسة أولاً لتقديم الشكر لله، وبعدها سيكون ما أراده. وكان البابا يصلى بالكنيسة الصغرى، وبعد القداس تقدم إليه، فقال له البابا سألقاك فى صالة الانتظار.

وهناك بادره البابا قائلاً فى حدة: "أنت مازلت فى أولى درجات العبادة، هل خدعك الشيطان، وأراد أن يبعدك عن طريق الخلاص"، فأجابه: "أن سيدى يسوع المسيح أمين وعادل لا ينسى طالبيه ويحوطهم دائماً بملائكته".

فقال له: "هل تعاليم المسيح تسمح لك أن تتدخل فى أمور ليست لك"؟ فأجابه: "إن الله علمنا أن نجاهد عن الأمانة حتى الدم، والذى لا يدافع عن الحق يكون مثل شيطان. **أنا ابن الدير، كيف أرى أموراً تخالف نواميس الدير، وتسئ إليه وأقف مكتوف اليدين. لم أقاوم أبى رئيس الدير، ولم أسئ إليه، بل بكل احترام وإجلال التمست منه، من أجل خاطر المسيح الذى جند نفسه لخدمته، ألا يقطع رجاء هؤلاء الآباء، وأن يحاكمهم بقانون الرهبنة، ولا يبعدهم عن حظيرة الرجاء فى وقت تذكار دخول سيدنا. ومخلصنا يسوع المسيح أورشليم منتصراً، والكل يفرحون. تضرعت إليه أن يرجئ طردهم من الدير حتى تنقضى جمعة الآلام، وبعد التماس مراحم سيدنا».**

فقال البابا بشدة: "لماذا تتدخل أنت فى هذا الأمر، وأنت عابد بعيد عن الدير والرهبان؟"

أجابه: "إنى كنت استحق غضبك لو أهملت الدفاع عن شرف دير البراموس البهى، دير سيدنا، وأترك سبعة شيوخ أفاضل لهم ماضٍ مجيد فى الدير، يطردون شر طردة، ويخورون، وينقطع رجاؤهم فى مراحم الله، فى جمعة آلام الفادى".

"ألم تثر على رئيس الدير، وكنت تريد تخطيم رأسه بعصاك الغليظة؟ هكذا سأله البابا.

أجابه: "حاشا لله ياسيدى أن يصدر هذا الأمر منى، **إنى لم أطلب سوى أن ينظر فى أمر هؤلاء الرهبان بعين محبته ورعايته استناداً إلى قوانين الكنيسة» قال هذا**، وبكى، فأبكى البابا الذى هدأ بعد هذا الحديث وارتاح جداً، وقال له: "يا أبونا مينا أنا راضى عنك، وقد عفوت عنهم، فعرفهم أن يحضروا ليأخذوا البركة ويرجعوا الدير بسلام".

فقال القس مينا: "إنى ألتمس منكم أن تشعرهم بعطفك، فتأمر أحد أبنائكم بإبلاغهم رضاك وصفحك".

وهكذا انتهى الأمر على خير ما كان يرجو ويتمنى. وعاد إلى الآباء الرهبان ومعه بعض الحاجيات، اشتراها بما منحه البابا من مال لهم، واندهش الرهبان لما علموا بما جرى.

أوفد البابا الأنبا توماس مطران الغربية بهيبته، ومعه القمص صليب ميخائيل إلى هؤلاء الآباء فحدثهم بخشونة أزعجتهم، ونظروا إلى القس مينا متسائلين، فقد خيب المطران آمالهم. فاستحضروا له كرسياً من الجيران ليجلس عليه، حتى لا تتسخ ملابسه الأنيقة، فابتدأ يوبخهم على خروجهم من طاعة رئيس الدير، فاحتج الآباء على قوله هذا لأنه يتكلم عن غير علم، وأرادوا أن يقاطعوا جلسته، ولكن القس مينا انبرى له، وكلمه بأقوال القديسين وتحدث معه عن التواضع وانسحاق الروح، وكيف يعمل لاختطاف الساقطين وذكّره يوم كان راهباً معه بالكلية بحلوان، وكيف كان راهباً متواضعاً فقيراً، ونبهه إلى ما هو عليه اليوم من عظمة، **وملبس فاخر ويجب عليه أن يستبدل ذلك كله بنعمة الله، وبانسكاب الروح، إذ أن هذه المظاهر ليست مقبولة أمام الله.**

أثر هذا الكلام فى نفس المطران تأثيراً بالغاً، وأبكاه كثيراً وأسف على ما بدر منه، واستسمح الآباء الرهبان، وتصافحوا فى محبة، ثم ودعوه فى النهاية بما يليق بمقامه كأمير من أمراء الكنيسة ولم ينسَ هو أن يعطيهم نقوداً كأمر البابا حتى يستطيعوا العودة إلى الدير.

فى الطاحونة

ذهبوا إلى البابا ليأذن لهم بالسفر، فصرح لهم وانصرفوا، ولكن بقيَ القس مينا ملتمساً أمراً. فقال له البابا: ماذا تريد؟

قال: "لقد عزمت بمشيئة الله أن أسكن فى الجبل الشرقى قريباً من دير الملاك ميخائيل القبلى فى طاحونة من طواحين الهواء، منعزلة تصلح قلاية وقد وفقنى الله فى الحصول على ترخيص من مدير الآثار العربية بإيجار رمزى، وإنى ألتمس التصريح بالإقامة فيها".



طاحونة الهواء بمصر القديمة حيث توحد عدة سنوات

فقال له: «**إن هذا الجبل مكمن للصوص، وإقامتك هناك فيها خطر على حياتك**».

فأجاب: "أن قلبى يحدثنى أنى سأنال نعمة التعزية فى هذا المكان، ومثله مثل مغارة وادى النطرون، لأنه بعيد عن العمران". فوافق البابا على طلبه.

انصرف فرحاً، وذهب إلى مقره الجديد. وهو عبارة عن طاحونة مستديرة ارتفاعها ستة أمتار فى أقصى الجنوب الشرقى من الجبل، وتحتها وادٍ سحيق. وأقام هناك أياماً مفترشاً الأرض، وملتحفاً بالسماء وكان يبكر كل يوم أحد فى الذهاب إلى كنيسة الملاك القبلى ليحضر التسبحة والقداس الإلهى، وينصرف بعد التوزيع مباشرة دون أن يحدث إنساناً. لاحظ ذلك القمص داود، وحفظ الأمر فى نفسه حتى جاء مرقس بك فهمى ليصلى، فلمح القس مينا بالكنيسة، ولكن لم يره بعد الصلاة، فسأل القمص داود عنه، فقال: "هذه عادته"، فقال له: "لابد أن نعلم أين يقيم وكيف يعيش".

وفى الأحد التالى استدعى القمص داود أحد أبنائه بالكنيسة، وقال له: "تتبع القس مينا أينما يذهب لنعلم أين يقيم". فتتبعه ذاك من بعيد دون أن يلمحه، ورآه يقيم فى طاحونة لا سقف لها، ولا باب فعاد وأخبر بما رأى. فاتصل القمص داود بمرقس بك وأعلمه بالأمر، فذهب إليه مع يعقوب بك مكارى المفتش فى "وزارة المعارف" والقمص يوحنا شنودة، فوجده جالساً على الأرض يسند ظهره إلى الحائط يقرأ فى كتاب للشيخ الروحانى، فاندهشوا، وعتبوا عليه كثيراً لما رأوه على هذه الحال، فأجابهم: "ومن أنا، ما أنا إلا دودة لا إنسان، وياليت الرب يعيننى لأتشبه بأولئك الأبرار الذين تاهوا فى البرارى، والجبال محبة فى اسم المسيح". وجلسوا معه أرضاً مدة، ورجعوا يمجدون الله، وقلوبهم ممتلئة حنواً، وشفقة على ذلك الراهب المسكين الذى اختار هذا الطريق الصعب. وفى اليوم التالى حضر رجال وعملوا للطاحونة سقفاً وباباً وجعلوها دورين: الأول لمعيشته، والثانى ليكون هيكلاً، وهيأ الله له شماساً عجوزاً يدعى المقدس مليكة كان يرتقى الجبل يومياً الساعة الثانية صباحاً صيفاً وشتاءً دون إهمال.

ومضى وقت حتى أصبحت الطاحونة مكاناً منسقاً جميلاً. وعمل مذبحاً من الخشب. وأول قداس أقامه حضره القمص يوحنا شنودة الذى ساهم فى احتياجات الهيكل، والقمص داود الذى زوده بالقربان، وكذلك مرقس بك فهمى، ويعقوب بك مكارى، وفرح الجميع فرحاً ليس بقليل.

وبعد ذلك عرفه الناس وذاع صيته، وابتدأوا يتوافدون عليه من بلاد متفرقة لما رأوا استجابة الله لصلواته، والمعجزات التى تمت ببركة دعواته فحدد مواعيد لمقابلة الزوار، وفى غيرها

ماكان يلتقى بأحد. ولما زاد عدد قاصديه أكثر فأكثر اضطر تحت ضغط الرجاء أن ينظم أوقات القداسات اليومية ليتمكن أكبر عدد ممكن من نيل البركة.

قصة استئجار الطاحونة:

أما كيف استأجر الطاحونة... فهو أمر يتبدى فيه تدخل العناية الإلهية، فأثناء وجوده مع الرهبان بمصر القديمة بعد أن يقوم بخدمتهم اليومية يصعد الجبل المبنى عند سفحه دير الملاك ميخائيل، يتجول ويمضى وقتاً للتأمل والعبادة. فصادفه خفير الآثار هناك يتأمل الطواحين، ويتنقل من واحدة إلى أخرى، فسأله عن خبره، فقال له: "أريد الإقامة فى هذا الجبل فى إحدى هذه الطواحين" فقال إن المكان منطقة آثار ومحظور على أى إنسان الإقامة بها، إلا إذا حصل على تصريح بذلك من مدير الآثار العربية، وأنه لم يسبق لإنسان أن حصل على مثل هذا التصريح"، فسأله: "وأين إدارة الآثار هذه، ومن هو مديرها؟" فعرفه عنوانها واسم مديرها فتذكر ذلك الاسم، وأنه هو الذى زاره فى سنة ١٩٣٣ بالمغارة بوادى النطرون.

فتوجه إلى دار الآثار العربية، ودنا من ساعى مكتب المدير، وسأله عنه، فظنه يطلب مساعدة. فقال له: "ياعم أقعد هنا جنبى لما يخرج يمكن ربنا يحنن قلبه عليك"، فجلس برهة وتجاذب معه الحديث، فارتاح الساعى إليه وطمأنه أنه سيساعده فى مقابلة المدير عند خروجه من مكتبه، ولكنه أقنعه بأن يخبره أن العابد الذى زاره مع الباحث الأمريكى بالمغارة بوادى النطرون يرغب فى مقابلته. ذهب الساعى وأخبر المدير بذلك،، فقام لفوره وخرج للقائه، وعانقه وأخذ بيده وأدخله مكتبه. وقص على إخوانه الذين كانوا فى مكتبه حكايته العجيبة، وطلب منه أن ينزل داره ضيفاً كريماً، فشكره، وقال له: "لى عندك أمر أرجو أن تساعدنى فيه"، وعرض عليه مطلبه. وما أن أتم كلامه حتى طلب سكرتيره، **وأمره بتحرير عقد إيجار للطاحونة التى حددها القس مينا، ودفع من جيبه** الإيجار لمدة طويلة، ونبه مفتش آثار المنطقة أن يزوره فى الجبل، ويعطى أمراً لخفير الآثار أن يرعاه، ويقضى له كل احتياجاته. فشكره القس مينا على حسن صنيعه، وانصرف مسبحاً الله.

زيارته للمتنيح القمص إبراهيم لوقا:

قصده يوماً أحد كهنة كنيسة مار مرقس بمصر الجديدة، وقال له: "يا أبي إن القمص إبراهيم لوقا شريكنا في الخدمة يود أن تزوره في بيته لتصلى له" فقال: "إن أبانا القمص إبراهيم لوقا رجل عظيم، ومن أنا الحقير الذى يطلب منى أن أصلى له"، ولكن بعد رجاء حار قبل أن يزوره في منزله بمصر الجديدة، فطلب منه الكاهن أن ينتظره عند باب دير الملاك القبلي، لأنه سيحضر في الغد في الساعة السابعة صباحاً بالسيارة ليصطحبه إلى المنزل فتظاهر القس مينا بالقبول، وسأله عن عنوان المنزل، وقال له: الله يدبر. وفي الساعة السابعة صباحاً كان رجل طويل القامة يلبس زعبوطاً، وعلى رأسه شال أسود وبيده عصا، يقرع باب منزل القمص إبراهيم لوقا، ولما دخل حيث يرقد، قبلْ يده وقال له: "يا أبي جئت لنيل بركتك". فقال له: "بل أنا الذى التمس بركتك وبرجاء الإيمان أطلب منك أن تصلى لأجلى وتمسحنى بالزيت كقول الرسول "فصلى له، ودهنه بالزيت، ثم انصرف مسرعاً غير مستجيب لتوسلات أحد للبقاء بعض الوقت، وكان القمص إبراهيم يأمل أن يمكث قليلاً ليكرمه ويعيده بسيارته إلى حيث يقيم، وكتب الله سلامة القمص إبراهيم لوقا، وصار يتحدث بهذه الأعجوبة ووطد العزم أن يزوره في الجبل ليشكره، ولكن هذه الزيارة تأجلت إلى حين.

نبُوة :

لما تنيح مثلث الرحمات البابا الأنبا يؤانس حزن القس مينا كثيراً، وداوم على عمل ترحيم يومى له لمدة أربعين يوماً، وفي تمامها كان نائماً عند الظهيرة فرأى الأنبا يؤانس آتياً إليه، فاستغرب القس مينا لصعوده الجبل وتحمله المشقة. ولما اقترب منه قال: «**أنظر يا أبونا مينا عصا الرعاية انكسرت منى أثناء صعودى الجبل فأنا حزين عليها جداً**» فقال له: "يتفضل سيدنا ويتركها لى قليلا"، فأعطاها له فأصلحها وأعادها إليه، ففرح بها كثيراً وتأملها بإمعان، ثم قال: «**خذها يا أبونا مينا قد وهبتها لك**» فتسلمها من يده فرحاً، واستيقظ من النوم متفكراً في هذه الرؤية، وفي أمر العصا والحديث الذى جرى.

تعمير دير الأنبا صموئيل:

مرت الأيام، وكان الأنبا يوساب مطران جرجا قائم مقام البابا، وعرض عليه مثلث الرحمات الأنبا أثناسيوس مطران بنى سويف أمر دير الأنبا صموئيل، لأنه تحت رعايته، وطلب الموافقة على تعيين القس مينا البراموسى رئيساً للدير كى يرعاه، ويهتم برهبانه ويدبر لهم احتياجاتهم، لأنه دير ليست له أوقاف من أطيان أو عقارات، فوافق الأنبا يوساب وقد قبل القس مينا القيام بهذه المهمة مرغماً، لأنه لا يريد أن يهجر قلايته. ثم سافر إلى الدير فى بلدة الزورة مركز مغاغة، فوجد موقعه حسناً لأنه على ترعة الإبراهيمية، ولكنه مبنى بالطوب النى، والكنيسة قديمة وآيلة للسقوط، ففكر فى إعادة بنائها فوراً، وإقامة مركز للدير. ولما عاد إلى القاهرة أفصح لكثير من محبيه وخاصة الابن المبارك حنا نسيم برغبته هذه، وطلب منهم معاونته لتحقيقها. وفى الحال نظموا العمل فيها بينهم، وتم شحن صندلين كبيرين بالحديد والاسمنت والفحم الحجرى لحرق الطوب.

وصلت الأدوات وخزنها لحين البدء فى العمل، وفرح أهالى الزورة وأهالى دير الجرنوس بما رأوا والتفوا حول القس مينا ليساعدوه. فابتدأ بضرب الطوب وحرقه، وأزال الأنقاض وحفر الأساسات، وصب الأعمدة وأتم سقف الكنيسة وأقام مسكناً من طابقين. وصار العمل مثار حديث المنطقة كلها وأقبل الكثيرون يعضدونه، ويقدمون له المعونة.

ولم يمضِ وقت طويل حتى صارت الكنيسة معدة للصلاة، والمسكن جاهز للسكن، وبعدها حضر الأنبا أثناسيوس لتدشين الكنيسة وافتتحها باحتفال شهدته جموع كثيرة من كل المناطق المجاورة. وأقام قداساً حبرياً منح فيه القس مينا رتبة الأيغومانس (قمص).

دير الأنبا صموئيل بجبل القلمون :

استقرت الأمور وابتدأ يفكر فى دير جبل القلمون الذى يبعد سبع ساعات عن الزورة. فأحاط الأهالى علماً بعزمه على زيارته، فبادروا إلى تقديم العطايا وتجمع لديه الكثير من المؤن: كالقمح والعسل والجبن، وتحركت قافلة من سبعة جمال، ولما وصل الدير فرح الرهبان، ودقوا أجراس الكنيسة وأقام هناك أياماً، قرر بعدها ترميم بعض المبانى، وإنشاء أخرى

جديدة. وتقدم المؤمنون من مديريتى الفيوم والمنيا بالمساعدات والمعونة لإنجاز هذه الأعمال ولتجديد الكنيسة، ورتب وصول قافلة من الزورة مرة كل خمسة عشر يوماً تحمل للرهبان احتياجاتهم. فازدهر الدير، ورجع إليه رهبانه الذين هجروه بسبب إهمال من قبل.

لما أطمأن القمص مينا على استقرار الأمور ونجاح مهمته، ترك وكيلاً له بالزورة: القس مينا الصموئيلى الذى تربى فى كنف القمص مينا زمناً طويلاً بمصر القديمة وقد منحه الأنبا أثناسيوس رتبة قس بمناسبة افتتاح الكنيسة ومقر الدير بالزورة.

نداء مار مينا

التخلى عن الطاحونة :

رجع القمص مينا إلى القاهرة، وكانت الحرب العالمية الثانية على أشدها، واتخذت قوات الحلفاء الجبل الشرقى ـ حيث يقيم ـ نقطة دفاعية عن مدينة القاهرة. وكان محل تقدير هذه القوات، ولما اشتدت وطأة الغارات الجوية، أشفق قائد القوة عليه وخشى أن يلحقه ضرر من جراء بقائه فى وسطهم، وطلب منه النزول من الجبل والاحتماء بالمساكن، فنزل على إرادته وأقام فترة من الزمن. متنقلا بين دير الملاك القبلى وكنيسة بابلون الدرج. ومن ثم فكر، وفكر معه محبوه فى بناء مسكن بسيط وتشييد كنيسة باسم الشهيد العظيم مار مينا. وابتدأ فى تنفيذ الفكرة. فاشترى قطعة أرض لم تكن تتجاوز المائة وخمسين متراً، ثم زيدت إلى خمسمائة لتتسع للكنيسة وملحقاتها الضرورية. واضطلع بالبناء المقاول حنا نسيم.

وبعد فترة وجيزة تم بناء دير الشهيد مارمينا ليأوى إليه الغرباء من طلبة الكليات بالقاهرة، كما أنه صار مقصد طلاب البركة.. وأصبح الدير خلية عامرة بالأبناء المباركين، ويظنه القادم لأول مرة أنه كان قائماً من سنين.

تدشين الكنيسة :

وقد قام مثلث الرحمات الأنبا أثناسيوس بتدشين الكنيسة وأقام قداساً حبرياً اشترك فيه الأنبا ابرآم مطران الجيزة الأسبق الذى كانت تربطه بالقمص مينا صلة مودة منذ كانا زميلين بالكلية اللاهوتية بحلوان.

رعاية المغتربين :

اختص الأب مينا أبناءه من طلبة الجامعة المغتربين بالرعاية، وكان يهتم بأحوالهم بنفسه، حتى شعر الجميع أنهم أسرة واحدة لهم أب حنون يدخل أعماق كل واحد منهم، فيحل له مشاكله ويقوده لطريق النعمة. وبقدر ما كان رحيماً عليهم ومحباً لهم محبة عميقة، كان أيضاً حازماً، فقادهم فى معترك الحياة قيادة حكيمة. وكان يشترط فيمن يُقبل بالدير:

ـ أن يكون أرثوذكسياً مشهوداً له من كاهن بلدته

ـ أن يخضع لترتيب المعيشة بالدير.

ـ أن يواظب على حضور القداسات، والتقرب من الأسرار المقدسة

تعال فقيراً :

وصار للقمص مينا أبناء كثيرون، منهم من حفظ الود، وتأصل فيهم الوفاء، بل أن من بين من شملتهم بركاته عندما كان طالباً فى كلية الصيدلة ونال أجازتها، ففتح صيدلية فى بلدته ـ جاء إليه يوماً فظنه آتٍ ليستجم بالدير. ولكنه بعد أن مكث عدة أيام، عرفه أنه باع صيدليته، وترك كل شئ ليسلك طريق الرهبنة، ويخدم الله. وقدم له النقود التى باع بها الصيدلية ليستعين بها على إتمام مشاريعه، فقال له القمص مينا: "إن المسيح يقول من يأتى إلَّى لا أدعه خارجاً، ولكنه لم يقل ويكون معه نقوده. **فإن أردت أن تتبع المسيح أترك كل شئ، وتعال اتبعه. تصرف فى نقودك كيفما شئت وتعال فقيراً لا تملك شيئاً، وتذوق حلاوة الفقر الاختيارى لتشعر بغنى المسيح**». فنزل هذا الابن على أمره، وغاب أياماً، ورجع إليه فقيراً لا يملك شيئاً.

الأمر بعودة الرهبان:

صدر أمر بابوى يلزم الرهبان بالرجوع إلى أديرتهم، ولا يبقى خارجها إلا من كان له عمل يؤديه بالمدن. ولما كانت إقامة القمص مينا بالقاهرة هى لضرورة ماسة مرتبطة برعاية دير الأنبا صموئيل بصفته رئيساً له. وبالتالى لا يمكنه العودة إلى دير البراموس، لذلك أرسل للقمص إبراهيم لوقا ـ وكان وكيلاً للبطريركية ـ خطاباً يعلمه فيه بحقيقة موقفه، ويطلب

منه العمل على اصدار تصريح بالإقامة فى القاهرة. حرك هذا الخطاب مشاعر القمص إبراهيم لوقا، وبادر بزيارته وفرح بلقياه وسلمه التصريح.

إشعاع النعمة:

أصبح دير مارمينا بمصر القديمة مصدر بركة عظيمة، فلا ينقطع زواره صباحاً أو مساءاً. فمنه بزغت أنوار النعمة، واشتم الجميع رائحة المسيح الزكية، وجرت آيات ومعجزات كثيرة: كم من مريض آتى للدير، ونظر الله إليه بعين الرحمة فنال نعمة الشفاء. وكم من متضايق بهموم الحياة دخله مثقلاً، خرج وقد أزاح الله عنه أتعابه، وارتسم على قلبه نور الخلاص. وكم من معذب بالأرواح النجسة أتى وهو أسير، فعاد وهو حر، فكت عنه قيود الشر. بل أنه فى إحدى الليالى تسلم الأب مينا برقية يطلب فيها صاحبها الصلاة لأجله، لأنه فى ضيقة شديدة.

الحاسدون :

ولكن كلما زادت نعمة الله مع القمص مينا، كلما كثر حاسدوه، فابتدأوا يكيدون له لدى البابا، الذى أراد أن يرتاح من القيل والقال، ومن الشكوك التى كانت تساوره، فأمر بعودته إلى دير البراموس، ويسلم دير الشهيد مارمينا للبطريركية، ولكن الله هيأ له أبناء بررة لهم مكانة لدى البابا هما: دكتور كمال رزق، ودكتور حلمى يعقوب مكارى تمكنا من إقناع البابا بأن القمص مينا ابن بار، وأن الله يتمجد فى كل أفعاله، وليس له مطمع فى الحياة سوى عبادة الله.

دعوة السماء

مرت بالكنيسة أحداث كانت غمامة قاتمة شعر فيها المؤمنون بالأسى والحزن العميقين. ولكن مراحم الله أدركتها لما رفعت أنظارها إلى فوق حيث المسيح، الذى سمع صراخها قائلة: خلص يارب، ولا تسلم ميراثك للعار.

جاءت ساعة الخلاص لما استقر الرأى على انتخاب راعٍ يسوس الكنيسة وكان يمسك بدفة السفينة مثلث الرحمات الأنبا أثناسيوس قائمقام البطريرك. الذى أعانه الله على أن يرسيها سالمة، ويسلمها للربان الحكيم الذى أختاره الله.

واتفق الرأى على ترشيح رهبان مشهود لهم. فقدمت تزكيات لكل من: القمص دميان الأنبا توماس أسقف عطبرة، القمص أنجليونس المحرقى (الأنبا مكسيموس مطران القليوبية) والقمص تيموثاوس (الأنبا يوساب أسقف البلينا) والقمص مينا الأنطونى بدير الشهيدة دميانة.

أما القمص مينا المتوحد فكان بعيداً عن هذا المعترك، ولكن الأنبا أثناسيوس قدم تزكية باسمه دون أن يخطره. وانتهى الميعاد، وقفل باب الترشيح، ثم حدثه نيافته تليفونياً، وبادره قائلاً :

ـ لماذا لم تقدم تزكية لترشيح نفسك يا أبونا مينا.

ـ يا سيدنا حفظ الله حياتك، والله يختار الراعى الصالح الذى يرعى شعبه ببر وطهارة قلب.

ـ كان يجب ألا يفوتك هذا الواجب.

ـ من أنا الدودة الصغيرة حتى اتطلع لهذه المهمة الخطيرة، وأحمل هذه الأمانة العظمى التى تعطى لمن يختاره الله وليس لمن يشاء أو يبغى.

ـ لكنى ما زلت انتظر منك الجواب، لماذا لم تقدم تزكية، وتترك الله يدبر ما يشاء.

ـ يا سيدنا آبائى الرهبان كثيرون، وتقدموا بتزكياتهم، وكلهم أهل لهذا المنصب الخطير، أما أنا فتكفينى نعمة الله التى معى.

ـ يا أبونا مينا أنا قدمت تزكية باسمك فى الوقت المناسب.

ـ حفظ الله حياتك يا سيدنا، رايح يروح فين الصعلوك بين الملوك.

ـ الله يرفع الفقير من المزبلة، ويجلسه مع رؤساء شعبه.

ـ دامت حياتكم يا سيدنا، والرب يدبر.

شدد القمص مينا على محبيه وعارفى فضل الله عليه، وحذرهم من عمل دعاية له سواء بالنشر أو بعقد الاجتماعات، ونزل الجميع على رغبته.

وفى الانتخابات التى جرت يوم الجمعة ١٧ أبريل سنة ١٩٥٩ فاز ثلاثة رهبان هم بالترتيب: القمص دميان المحرقى ـ القمص أنجيلوس المحرقى ـ القمص مينا البراموسى المتوحد.

القرعة الهيكلية :

وفى يوم الأحد ١٩ أبريل سنة ١٩٥٩ وهو اليوم المحدد لإجراء القرعة الهيكلية، أُقيم قداس حضره أحبار الكنيسة برئاسة مثل الرحمات الأنبا أثناسيوس، وفى مظروف ختمه بالشمع الأحمر، وضعت ثلاث ورقات تحمل كل منها اسم أحد المرشحين الفائزين فى الانتخاب أمام جميع الشعب وبحضور السيد دكتور رمزى ستينو (وزير التموين حينذاك) ووضع المظروف على المذبح، وفى نهاية القداس فتح المظروف أمام أحبار الكنيسة والشعب جميعه، وسحب شماس صغير (١) ورقة منه، خرجت تحمل اسم "القمص مينا البراموسى المتوحد". وهنا دقت أجراس الكاتدرائية دقات الفرح معلنة الإختيار الإلهى، كما ابتهج جميع الشعب ورفعوا أصواتهم بالتهليل والحمد لله. وقد أُذيع نبأ الإختيار على جميع موجات الإذاعة.

ولما أُبلغ القمص مينا المتوحد بكى كثيراً وهو يصلى، ورفض أن تدق أجراس كنيسة الدير فرحاً بهذه المناسبة، بل أمر بالإنتظار حتى ينهى القداس، ثم توافدت عليه جموع الشعب والأحبار، فقال وهو خارج من الهيكل لاستقبالهم: "المجد لك يارب. اخترتنى أنا الضعيف لتظهر قوتك فى ضعفى. من عندك القوة أعنى. لأنى أرتعب من عظمة موهبتك. أنت أمين وعادل لا تترك محبتك. من عندك القوة. من عندك العون يا إلهنا وفادينا".

زيارة الأديرة :

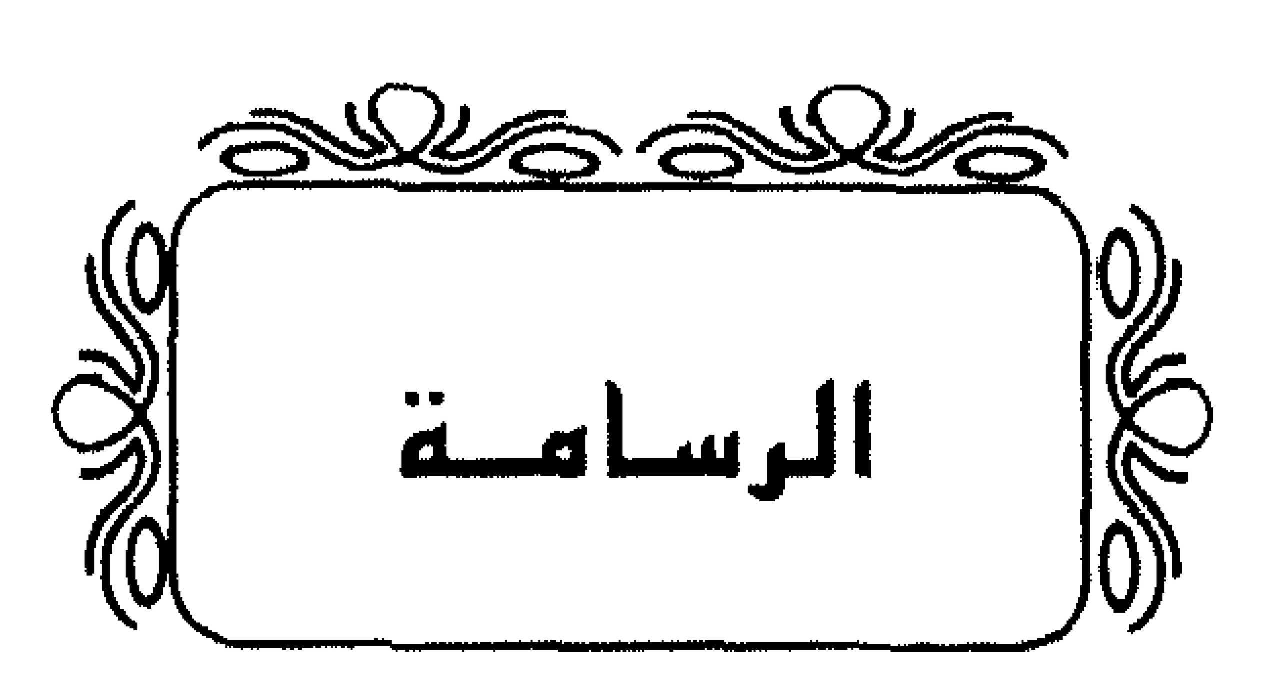
تحتم طقوس الرسامة حضور المختار من الله من ديره الذى ترهبن فيه، لذلك فقد توجه فى فجر السبت ٩ مايو سنة ١٩٥٩ إلى دير البراموس ومعه عدد كبير من المطارنة وأعيان الشعب يستقلون عشرات السيارات. دخل الدير بين دقات الأجراس، واستقبله الآباء الرهبان استقبالاً

(١) يدعى (رفيق باسيلى) من طنطا.

جميلاً، وهم يلبسون حللهم الكهنوتية، ويرفعون الصلبان ويحملون المجامر. ودخل الكنيسة الأثرية التى على اسم الطاهرة القديسة مريم العذراء، وسجد سجدات الخشوع من بابها حتى حجاب الهيكل. وقبل أيقونات القديسين، وتبارك من جسد أنبا موسى الأسود وأنبا ايسيذورس قس القلالى، الموضوعين أمام الهيكل. ثم قام بخدمة القداس. وبعد ذلك أخذ بركة الدير، فلم يترك فيه مكاناً إلا ودخله، وتأمل صنيع الله فاحص القلوب والكلى، المحسن إلى مستقيمى القلوب.

وبعد ان استراح قليلاً، زار أديرة السريان، والأنبا بيشوى، وأبو مقار. وعاد قاصداً القاهرة فى سيارة وضعها تحت تصرفه الأستاذان ونيس، وعياد فلتس، وركب معه القائم مقام البابوى مثلث الرحمات الأنبا أثناسيوس، مثلث الرحمات الأنبا كيرلس مطران البلينا الرفيق الحبيب، مثلث الرحمات الأنبا بنيامين مطران المنوفية. ووصل الركب مشارف القاهرة عند الغروب، واستقبلته جموع كثيرة يرتل من السيارات وسار الموكب حتى الكاتدرائية المرقسية الكبرى بالأزبكية التى ازدحمت بالمستقبلين كما كانت الألوف تملأ الشوارع المحيطة بها، ولما دخل الكنيسة سجد أمام الهيكل، وقدم صلاة الشكر.

الفصل الثالث



الرسامة



في بداية شعائر الرسامة التي جرت يوم ١٠ مايو ١٩٥٩

باكر الأحد ١٠ مايو ١٩٥٩ (٢ بشنس) نزل القمص مينا البراموسى من المقر البابوى وأمامه الشمامسة حاملين الصلبان، والمطارنة والكهنة بملابسهم الكهنوتية وهتافات الشعب، وأصوات الفرح تعلو إلى عنان السماء.

وقف المختار من الله أمام باب الكنيسة الذى أُغلق، وسلموه المفتاح ففتحه وهو يقول: "افتحوا لى أبواب البر لكى أدخل وأشكر الرب، لأن هذا هو باب الرب وفيه يدخل الأبرار. أشكرك يارب لأنك استجبت لى وكنت لى منقذاً ومخلصاً"، ثم دخل وسجد أمام باب الهيكل، وتقدم كبير المطارنة الأنبا أثناسيوس ـ وكان آنذاك المطران الوحيد الذى أبقاه الله حياً من بين المطارنة الذين رسمهم **البابا كيرلس الخامس** ـ ودعى إخوته الأساقفة للصلاة، فوضعوا البشائر الأربع على رأسه. ثم وضع اليد عليه ومن بعده الآباء المطارنة، ونادى: "ها باركوا يا إخوتى أبانا وراعينا المقام من لدن الله، ورضا شعبه"، ثم ألبسوه الثياب الكهنوتية، ووضعوا على رأسه التاج وتقدم إلى المذبح وقبله، وتسلم عصا الرعاية من فوقه. ثم أجلسوه على

الكرسى الرسولى، كرسى مار مرقس الإنجيلى. **ووقف ليقرأ الإنجيل، فلم يشأ أن يقول: «أنا هو الراعى الصالح» بل قال: «قال المسيح أنا هو الراعى الصالح»**. وبعدها فاضت عيناه بالدموع الغزيرة.. دموع الإحساس بعظم المسئولية وجسامتها، والتذلل أمام الله لطلب المعونة.

انتهى الحفل الذى نقلته الإذاعة على الهواء مباشرة ـ على أجمل صورة من الروعة والنظام. وقد حضره السيد/ أنور السادات مندوباً عن السيد الرئيس جمال عبد الناصر. كما حضره ممثلون عن الهيئات والطوائف.

ثم تزاحم أفراد الشعب لنيل البركة، **وكم كان وديعاً طويل الأناة، لم يكل وهو واقف ساعات طويلة. أشفق عليه الآباء المطارنة والأساقفة وطلبوا منه أن يستريح إذ كان عرقه يتصبب، ولكنه أصر ألا يرد أحداً وأن يدخل السرور إلى قلب كل قاصد**: الكبار والأطفال الصغار. وعاد كلّ إلى بيته وهو يمجد الله على ما رأى وسمع.

لم تغير البابوية منه شيئاً. فقد لازم كل الطقوس التى كان يقوم بها من يوم إن كان راهباً. فواظب على رفع بخور عشية وباكر وإقامة القداسات اليومية. حمل الأمانة كاملة. أعانه الله على أن يدبر شئون الكنيسة كبيرها وصغيرها. أحيا الطقوس بدقائقها. وتمجد الله فى أعماله، وجهاده وتقبل منه ابتهالاته، وضمه إلى أحضان القديسين مكللاً بعد أن سجل له التاريخ أسمى وأعظم الأعمال. وكتب عنه محبوه، وعارفو فضله الكثير بتدقيق، كما فى كتاب عشر سنوات مجيدة الذى كتبه الدكتور أمين حكيم (القس غبريال)، والدكتور يوسف منصور.

وسيكون ما جمعه الابن المبارك المحب لأبيه القمص رافائيل آفامينا مسك ختام، تتنسمه روحه الطاهرة، وهو واقف أمام عرش النعمة فى الكنيسة المنتصرة، يسأل للكنيسة السلام الدائم ولنفوسنا تعزيات السماء.

الفصل الرابع

نسكيات البابا كيرلس

لم ينسَ البابا كيرلس السادس يوماً أنه الراهب الفقير مينا، وإن اختياره للبطريركية ليس شيئاً يدعوه إلى تغيير حياته النسكية.. بل كان على العكس يعتقد أنه يجتاز تجربة مريرة يحتاج معها لمزيد من التنهد والحزن والانسحاق والصوم والصلاة وكأنى بالأشواق الصالحة القوية التى ملكته منذ فجر شبابه ـ كمختار من الله ـ ودفعته إلى أن يلفظ العالم، ويمسك بالمسيح الذى بداخله، لم تتحول يوماً إلى غير ما كان يحرص ... لقد أغلق كل أبواب العالم عن نفسه ـ الشهوات مع الرغبات ليبحث فيها عن الكنز المخفي.. باع كل شىء ليشترى اللؤلؤة الواحدة الكثيرة الثمين.. أهمل احتياجات الجسد، فلم يعد له عليه سلطان، وأشعل الروح بزيت الفضائل الذى لا ينطفىء.

وبعد أن ذاق، وشارك، وعاش، وملك مع المسيح، لم يكن ممكناً أن يتطلع لاقتناء شىء آخر، لقد ربح المسيح.. فما حاجته لهذا الآخر.

"تحت ظللك اشتهيت أن أجلس، ثمرته حلوه لحلقى"، "لقد وجدت من تحبه نفسى، فأمسكته، ولم أرخه حتى أدخلته بيت أمى".

طعامه :

ليس غريباً إذاً أن نجد طعام البابا هو هو طعامه أيام أن كان راهباً رغم تقدم السن وتزايد المسئولية وإرهاق العمل. فكان إفطاره قربانة واحدة مع مسحوق الكمون أو الملح أو السمسم، وبعد الحاح طويل من أبناء البابا، زيد هذا الإفطار مقدار ملعقتان صغيرتان من الفول.

وكثيراً ما كانت تمتد مقابلات البابا إلي الساعة الثانية أو الثالثة بعد الظهر دون أن يتناول إفطاراً.

والغداء خبز جاف مع القليل جداً من الطعام المطبوخ الذى لا يأكل منه شيئاً بل يبلل به الخبز الجاف.. ما رأيته يوماً يقترب إلى دجاجة قدمت له، أو أمتدت يده لكوب من اللبن ليرتشف منها جرعة، وما كان أزهده فى اللحوم.

والعشاء مثل الإفطار، وكان يكتفى أحياناً فيه بالقليل من الفاكهة.

أما فى أيام الصوم فكان يتبع نظاماً قاسياً، وخاصة فى الصوم الكبير، وصوم كلية الطهر العذراء مريم، فكان يتناول الطعام مرة واحدة فى المساء بعد صلاة القداس الإلهى التى ما كان يريد لها أن تنتهى لولا إشفاقه على أبنائه الصائمين.

ملابسه:

أما ملابسه فما أبسطها.. فالداخلى منها بسيط خشن غير جاهز، بل "مسرج" مصنوع من "الدمور" وفوقه يلبس حزاماً من جلد والإسكيم المقدس، ثم جلباباً أسوداً خفيفاً من قماش زهيد الثمن. ويرتدى عباءة (زعبوط) غير مفتوحة من الأمام، والمسماة "بالفراجية". ويضع شالاً على رأسه ليخفى به شعره الذى نذر ألا يقصه منذ رهبنته.

والملابس التى يرتديها عند إقامة القداسات كانت ـ وهى على مرآى من الجميع ـ غاية فى البساطة، وكثير من الآباء الكهنة يرتدى ما هو أثمن منها، وذلك دأب قداسته حتى فى الأعياد والمناسبات.

لقد رفض إرتداء البرنس أو التاج... حتى فى يوم افتتاح الكاتدرائية الجديدة بالعباسية، لم يرتد الملبس الفاخر الذى أهداه إياه جلالة الإمبراطور هيلاسلاسى فى هذه المناسبة، وهو يردد: "لقَد أتى المسيح إلى مصر هارباً ولم يكن له أين يسند رأسه".

وما استخدم إلا المناديل "المحلاوى" البسيطة الرخيصة.

ويعطى لأبنائه المناديل الفاخرة التى تهدى له.

كما كان يمنح من ملابسه للآباء الأساقفة أو الكهنة، ولعل الكثيرين يحتفظون بها للبركة والذكرى.

والشيء الذى أدهشنى (الكلام للقمص رافائيل آفامينا) أنه لم يغير حذاءه طوال مدة خدمتى لقداسته، وهى خمس سنوات كاملة، ولم يهتم بدهانه أو اصلاحه... وكثيرون

حاولوا ربط حذائه بعد انتهاء الصلاة، فكان ينهاهم عن ذلك وهو يقول لهم : "سيبه يا ابنى... خلى الليلة تفوت على خير".

"كهنتك يلبسون العدل وأبرارك يبتهجون ابتهاجاً" "يبتهج قلبى بالله مخلصى لأنه ألبسنى ثوب الخلاص وسربلنى بحلة السرور كل حين".

حياة السهر :

أما نومه فما أقله... فمن المعروف أن البابا يبدأ يومه بالصلاة فى الساعة الثالثة والنصف صباحاً، ولا يفرغ من المقابلات والمشاغل إلا فى ساعة متأخرة من الليل. ومهما كان مجهداً أو متعباً فإنه ما أن يحين موعد الصلاة حتى ينهض بنشاط عجيب، وسرور ليكمل قانون عبادته.

سريره بسيط من النحاس. وغطاؤه بطانية واحدة صيفاً أو شتاءً. وما أكثر الليالى التى نام فيها فوق مقعد. وقد تعجب القاصد الرسولى لبساطة قلاية البابا عندما زاره وهو مريض، وعرض أن يؤثثها بنفسه، فشكره البابا، وقال له إنى أحب هذا المكان البسيط.

قراءات البابا :

الكتاب المقدس هو صديقه الحميم الذى يلتقى به كل يوم، ولا يمل القراءة فيه. وكذلك كتب القديس مارإسحق السريانى(١) . لا يكف عن مطالعتها رغم أنه كان يحفظ الكثير منها، وسبق أن نسخها عدة مرات.

كان يقرأ كل الكتب الدينية التى طبعت فى عهده المبارك، وما أكثرها، ويعلق على ما جاء بها. والمجلات الدينية، لا يهمل فيها سطراً، ويبدى ملاحظاته لمحرريها فى مقابلاتهم لقداسته ويخرجون من عنده منتفعين.

اتضاعه :

ولا تجدى الكلمات فى وصف اتضاع البابا، فالاتضاع فضيلة لا توصف بل أعمال وحياة ناطقة، وبين طيات هذه المذكرات وجدنا، كما سنجد أمثلة حية لحياة الاتضاع.

---

(١) أصدر أبناء البابا كيرلس أجزاء من كتاب (ميامر مار إسحق).

+ أما عن بغضبه للمديح فسأكتفى هنا بذكر واقعتين للدلالة على بغض قداسته له من كل قلبه.

بينما كان أحد الآباء الكهنة (العلمانيين) يعظ فى دير مارمينا بمريوط ذكر معجزة حدثت بصلوات البابا، فخرج قداسته من الكنيسة واتجه إلى قلايته، وعاد مع قرب انتهاء العظة، وكان واضحاً من عينيه الباكيتين، ومن ملامح وجهه ماذا صنع بنفسه.

+ كما حدث ذات مرة ان قَدِمَ محاسب بعمارة رمسيس بالقاهرة إلى المقر البابوى ومعه ابنته الصغيرة لمقابلة البابا، ولما دخلت وركعت أمامه، رفعت نظرها إلى أعلا لتقبل الصليب، فرأت منظراً عجيباً، فلم تستطع النهوض حتى أقامها البابا. وخرجت الصبية تحكى لأبيها ما رأت. وفى اليوم التالى عادت الصبية مع والدها، وقالت للبابا أنها بالأمس رأت هالة من نور حول رأسه تصل إلى كتفه.

أنزعج البابا لسماعه هذه الكلمات، وقال وهو يشيح بوجهه عن الصبية: "احفظنى يارب... احفظنى يارب".

وكثيراً ما كنت اسمعه يقول تحقيراً لنفسه: "الواد عمل بطرك".

وكان إذا طلب أمراً، ووجد كثيرين يسرعون إلى تلبيته يقول فى بساطة : "جلبيته لحد ركبته، وعشرة فى خدمته".

وفى تضاعيف هذه المذكرات سنجد صوراً ناطقة لحياة الاتضاع الكامل.

وإذا كان العطف والحنان هما السمة المميزة لمِعاملة البابا للآخرين، إذ كانت البسمة المعزية هى هدية سمائية يقدمها لنا البابا... فماذا يا ترى كان يصنع بنفسه؟

ولكى تعرف الإجابة عن هذا السؤال، فلنقرأ معاً الصفحات التالية.

معاملة البابا لنفسه

حقاً أنك رجُل الله:

أثناء الصوم الكبير فى عام ١٩٦٩، (والكلام للقمص رافائيل أفامينا) أعطانى قداسة البابا زجاجة صغيرة بها ثلاث حصوات، وطلب منى أن أعرضها على الأستاذ دكتور عزيز فام ـ أستاذ جراحة المسالك البولية بكلية الطب بجامعة القاهرة ـ وأخبره بأن هذه الحصوات آلمت

البابا كثيراً عند نزولها. ولما رآها سيادته صاح قائلاً: "إن أصغر حصوة من هذه الحصوات يحتاج إنزالها إلى عملية.... أسرع إلى قداسة البابا لتوصيه بالإكثار من شرب الماء طوال النهار، وأنه إذا أراد الصوم فإنه يمكنه الامتناع عن تناول الطعام، ولكن لابد له من الإكثار من شرب الماء للحيلولة دون ترسب الأملاح فى الكلى. ولكن البابا أجابنى ببساطة: هل نترك الله؟.. هل نترك الشهيد مارمينا؟..

وبعد ذلك بيومين حضر الأستاذ الطبيب للإطمئنان على صحة البابا، وسألنى عما إذا كان البابا يكثر من شرب الماء من عدمه؟ فأخبرته أنه مستمر فى صومه كالمعتاد، فصاح سيادته قائلاً: إن الكتاب يقول: "لا تجرب الرب إلهك"، وسمع البابا صوت الطبيب فاستدعاه، وأعطاه زجاجة أخرى بها حصوتان، وقال: "أن الشهيد مارمينا ساعدنى فى إنزال هاتين الحصوتين أيضاً: "وهنا هدأت ثورة الطبيب... وقال له "حقاً أنك رجل الله... لقد آمنت بك"، وأخذ الحصوات واحتفظ بها لتكون شاهداً على قوة إيمان البابا.... وعلى قوة اتكاله على الله...... وعلى تمسكه بزهده، ونسكه.

لماذا نتكاسل:

وقصة أخرى حدثت فى رحاب دير مارمينا بمريوط.. فى صباح أحد الأيام أخبر قداسة البابا القمص مينا أمين الدير بأنه يشعر بألم لا يستطيع معه إقامة القداس الإلهى: فمضى القمص مينا، وصلى القداس بمفرده. وما أن مضت نصف ساعة تقريباً حتى استدعانى البابا، وقال لى: "لماذا نتكاسل يا ابنى؟... هيىء لى المذبح للصلاة، فرجوته أن يستريح فرفض.... عرفته أن القمص مينا قد أخذ أدوات الصلاة فقام بنفسه وأحضر أوانى أخرى وجمع لفائف من أماكن متفرقة، واختار لنفسه ثلاث قربانات قائلاً: "قربان دير مارمينا يا ابنى أفضل بكثير من قربان أى مكان أخر". وأقام القداس على مذبح جانبى متناسياً آلامه وأتعابه وانحدرت من عينىّ عندئذ دمعة اشفاق.

لأكثر من مرة تعتل صحة قداسة البابا، وترتفع درجة حرارته إلى ما يزيد عن ٣٩ درجة، فكنا نقلق ونضطرب، وإذا نفاجأ بقداسته تاركاً فراشه فى طريقة إلى الكنيسة، فكنت أرجوه أن يستريح، فلا يقبل. وقال لى معلقاً: "ذات مرة عندما كنت فى المنصورة ارتفعت درجة حرارتى إلى ٤٠ درجة، وطلب منى الأطباء أن أستريح لكننى صليت القداس، وقمت

بزيارات لعدة كنائس فى مدن وقرى مجاورة، وعدت فى ذات اليوم إلى المنصورة، وكان الأطباء مضطربين، ولكنهم وجدوا الحرارة قد هبطت إلى ٣٧ درجة".

اعتاد البابا أن يذهب إلى الكاتدرائية المرقسية الجديدة بالأنبا رويس ليصلى القداس الإلهى أيام الأحد والأربعاء والجمعة، وكذلك صلاة رفع بخور عشية هذه القداسات. وفى أيام الشتاء حيث يكون البرد قارصاً داخل الكاتدرائية لعدم وجود الأبواب والنوافذ ولارتفاعها الشاهق ولاتساعها الكبير والفضاء المحيط بها، وبالرغم من ذلك كله داوم البابا على الصلاة بها حتى فى تلك الأيام والليالى التى يزداد فيها الجو عبوساً ويهطل المطر، ونتوقع أن تعوقه مثل هذه الظروف من الذهاب إلى هناك، ولكننا نفاجىء به يترك قلايته فى نشاط، ويمضى إلى الكاتدرائية مع أنه لم يكن يحضر للصلاة فى مثل هذه الليالى إلا أفراد معدودون.

حاجاتي.. خدمتها هاتان اليدان:

يقول القمص رافائيل آفامينا استيقظت ذات ليلة على صوت حركة فى الصالون الصغير المجاور لحجرتى، فنهضت لأعرف السبب، فوجدت لدهشتى قداسة البابا يقف فى المطبخ بملابس النوم، ويضع طعام العشاء فى الثلاجة، فتأثرت جداً من هذا المنظر وقلت لقداسته: "لماذا يا سيدنا لم تكلفنى بهذا العمل؟ فأجاب: "أنتم تتعبون معى طوال النهار، وخشيت على الطعام من التلف لأنى لم آكل منه شيئاً، فقمت لأضعه فى الثلاجة... تصبح على خير". عدت إلى مخدعى متأثراً، أقول لنفسى أنه لا يتعامل معنا كبابا وبطريرك.. بل كواحد منا.

... حتى طعامه لأولاده:

بينما كان البابا مقيماً بدير مارمينا ذات مرة حضرت بعض العائلات لزيارة البابا، وعند انصرافهم أمر قداسته بأن يجهز لهم غذاء، وبعد قليل استدعانى وأمرنى أن آخذ طعامه وأقدمه للأطفال، فعرفته أننا قد أعددنا لهم ما يأكلونه، ولكنه أصر على ذلك... فأخذت الطعام، وقدمته للأطفال... أما هو فلم يذق شيئاً.

لعل الله ينظر إليّ ويرحمني:

أعطانى البابا ذات يوم الرسائل الواردة لأرتبها ثم أتلوها على مسامعه، فوجدت خطاباً يحمل له سباً وقذفاً، فامتنعت عن قراءته، وطلبت منه السماح لى بتمزيقه، ولكنه أمرنى بتلاوته، فامتثلت، وبعد أن فرغت منه قال لى بابتسامته البسيطة: "لا يزعجك هذا الكلام يا ابنى ولا تهتم به، لعل الله ينظر إلى ويرحمنى.... لقد قيل أكثر من ذلك مراراً كثيرة..... ولكن شكراً لله.... خلصنى وافتقدنى".

يخَدم ... ولا يُخدم:

حدث فى عام ١٩٦٧ أن أصيب قداسة البابا بجلطة فى وريد الساق فلزم الفراش نحو شهرين. ورغم ذلك كان يلتقى بأبنائه ويجلس واضعاً قدميه على كرسى - كأمر الأطباء - وتوافد ذات يوم عدد كبير من الزوار، وإذ كنت متعباً دخلت حجرتى لأستريح، وبعد ثلاث ساعات تقريباً استدعانى قداسته وبادرنى بقوله: "لقد صنع الرب معى أعجوبة يا ابنى"، فتساءلت: "ماهى يا سيدنا".... فقال: "بعد خروج الحاضرين قمت وأغلقت الباب لأنى أعلم أنكم تتعبون كثيراً من أجلى. وقمت فعلاً وأغلقت الباب ولكننى سقطت إلى جواره وحاولت النهوض فلم أستطع، وعجزت عن دق الجرس لأنه مرتفع، وحاولت قرع الباب فوجدته بعيداً عنى.... ولم أقدر أن أستند إلى الكراسى فجميعها دون متناول يدى... وهكذا مكثت حوالى نصف ساعة، فصرخت إلى الرب وطلبت منه المعونة، فأعاننى وقمت"، فبكيت لكلماته وتساءلت: "ما فائدتنا كلنا فى هذا المكان؟ اسمح لى أن أتركه فالبابا لا يريد منا حتى غلق بابه". فأجابنى: "لا تقل هذا الكلام يا ابنى بل أعطى مجداً لله الذى أعاننى وحفظ عظامى من الكسر، وصنع معى هذه الأعجوبة مع كبر سنى ومرضى"..... ثم صلى وأمرنى بالانصراف.

جُرح لم يلتئم:

قرر الأطباء إجراء عملية جراحية (إخراج الظفر من اللحم) فى قدمي قداسة البابا مرة كل ستة أشهر، وكان يقوم بإجراء هذه العملية السيد دكتور يوسف يواقيم بالقاهرة، والسيد

دكتور ميشيل أسعد بالإسكندرية. وكانت تجرى فى قلاية البابا وتستغرق أكثر من ساعة، يتألم خلالها البابا ألماً شديداً، وكان يجب أن يلزم الراحة الكاملة عدة أيام... ولكنها لحظات قليلة تمر، ويراه الناس بعدها فى الكنيسة يقوم برفع الصلوات ويطوف بها مقدماً بخور الشكر لله.. ويقابل أبناءه. ويتحدث إليهم باشاً مستمعاً إلى أتعابهم ومشكلاتهم بابتسامة وديعة.

وما كان أحد يدرى أن بقدمي قداسة البابا فى تلك اللحظة جرحين لم يلتئما بعد.

البابا المصلى

من المتعذر علينا حقاً أن نقترب من شخصية البابا كيرلس السادس إذا لم تكن لنا خبرة حقيقية بحياة الشركة مع الله. ولا يمكننا بالتالى أن نفهم حياة هذا الرجل القديس، ما لم نكن نعرف معنى الصلاة بالروح والحق... لقد كان قداسته دائب الصلاة.. يصلى ولا يمل.. لا يفتر لحظة عن التسبيح... فى قلايته... أو فى مقابلاته.. أو فى سيره، أو عند تناوله الطعام... دوماً يتلو المزامير، رافعاً لله عقله، وقلبه، وكل حواسّه... كانت الصلاة مصدر تعزياته، ووسيلته لحل ما استعصى من المشاكل... والمرشد لاتخاذ القرار الحاسم. فهناك فى قلايته بعيداً عن الأعين كان يقضى أوقاتاً طويلة فى صلوات عميقة طارحاً أمام الله كل المشاكل طالباً من أجل أولاده، ومن أجل الكنيسة والبلاد.

لقد كانت حياة البابا كلها صلاة... وكانت الصلاة أيضاً هى حياة البابا.

كان يوم البابا يبدأ عادة فى الثالثة صباحاً مهما تأخرت ساعة إيوائه إلى الفراش... يقوم ليصلى مزامير نصف الليل، وبعدها يتجه إلى الكنيسة ليؤدى التسبحة التى يشبهها بالمن الذى كان يجمعه بنو إسرائيل قبل شروق الشمس، لأنه إذا ما أشرقت يسيل ولا يمكن جمعه... ويصليها فى قلايته إذا كان متعباً لا يقوى على مغادرتها... وكنت أسمعه يرددها بتمعن وتلذذ عميق.

وروى قداسته واقعة حدثت لمرتل بيعة فى إحدى قرى المنوفية ليبين أهمية هذا الطقس ـ شأنه فى ذلك شأن كل طقوس البيعة... فابن ذلك المرتل كان كسولاً لا يريد حفظ صلوات

التسبحة فكان يعاقبه. وذات مرة ضربه ضرباً موجعاً وحبسه فى الكنيسة، وجلس الولد يبكى حتى جاءته امرأة وربتت على كتفيه، وسألته: "مالك يا ابنى؟" فأجابها: "أبويا ضربنى دون أن أعمل شيئاً" فقالت له: "يا ابنى أبوك عايزك تتعلم وتبقى كويس زيه... اسمع كلام أبوك وأنا هساعدك"، وانصرفت المرأة، وبعد قليل عاد المرتل إلى ابنه ليراجع معه بعض الألحان التى سبق أن تعلمها، فوجده قد اتقنها فجأة، ولم يفطن الابن إلى سر هذا الاتقان. ولكن أبوه إذ كان رجلاً تقياً سأله: "ألم يحضر لك أحد؟"، فقص الابن قصة المرأة التى رآها، فقال له: "إنها القديسة العذراء أم النور، سلام الرب لها".

أما صلاة القداس الإلهى فقد كانت هى الكنز الذى يفتحه يومياً ليغترف منه التعزيات الإلهية، وليطرح أمام (حمل الله) كل متاعبه وآلامه.. كان يصليه فى وقار وخشوع، وهو مغمض العينين... فى هدوء وعمق بصوت منخفض، ووجه مطرق إلى أسفل، .... وتكاد صلاته تكون بلا لحن .... ولم يكن يسمح لنفسه أن يتكىء على المذبح أو يخاطب أحداً....

ومع صلاة القداس يذرف الدموع الغزيرة... فالدموع هى بنت الصلاة وكنا جميعاً كشمامسة نجد أنفسنا نبكى معه.

والحقيقة أن قداسة البابا يميل إلى إقامة صلاة القداس بمفرده، ليشعر بالعزاء الأكبر. لعلنا جميعاً لاحظنا أنه كان يحضر فى ليالى الأعياد القداسات المذاعة على الشعب، وأحياناً لا يشارك فيها لأنه كان يقيم قداساً أخراً بعد ذلك ينتهى قرب الفجر.

ولشدة إيمانه بعظم فائدة القداسات أمر بإقامة ثلاثة بالكاتدرائية، واثنين بالكنيسة الصغيرة التى بجوارها... وكان يردد: "لازم نفرح ملاك كل مذبح علشان يذكرنا أمام الله". ويقول عن هؤلاء الملائكة: "هم دول الجيش بتاعى اللى أنا بحارب بيه".

كما واظب قداسته على صلوات رفع بخور باكر وعشية فى ملبس بسيط: الشملة البيضاء والصدرة الحمراء.. يصلى فرحاً مبتهجاً، ويدور بالبخور كل أرجاء الكنيسة، يتوقف أمام

الأيقونات جميعها طالباً شفاعة أصحابها. وكان يصمم على رفع بخور باكر بمفرده... وحدث ذات مرة أن تقدم إليه قس راهب ليأخذ منه الشورية، كما جرت العادة مع بعض الرؤساء الروحيين، فقال له البابا: "ولماذا لا أرفع أنا البخور... ألسنا نرفعه للعزة الإلهية.. هل هناك كبير أو صغير أمام الله... أننا جميعاً أمامه سواء"... وكان يشير إلى عظمة هذا الطقس وكرامته، ويقول: أنه يشبه خدمة هرون وزكريا.

وفى ليالى كيهك كان يجد عزاءً كثيراً عندما يصلى تسابيح هذا الشهر المبارك بمفرده، داخل فلايته ممسكاً بدف صغير، يصلى بصوت مسموع. وكان يعاتبنى لعدم اشتراكى مع شمامسة الكنيسة فى هذه التسابيح، ولكنى كنت أرغب فى الحقيقة أن أنال بركة مشاركة قداسته هذه الصلوات... ولكنه كان يرفض.

ومع مجىء أسبوع الآلام كان يعيش أحداثه الحزينة.. فيحزن ويكتئب... ويبكى، ويصلى صلوات الساعات الأولى والساعات الأخيرة بالكنيسة حيث يكون الحاضرون قليلين، ويقرأ الفصول سواء بالقبطية أو بالعربية كأى قارىء صغير. وفى الطلبات يركع ـ رغم تقدم سنه ـ مصلياً بدموع وانسحاق. أما صلوات باقى الساعات فكان يصليها فى قلايته ببكاء كثير وتذلل عميق، واضعاً أمام ناظريه كل آلام الفادى المخلص، ذاكراً خطايا وجهالات شعبه. وأكثر ما أثر فى نفسى منظر قداسته وهو ممسك بعكاز رهبانى بسيط، متخلياً عن عصا الرعاية.

وما أن ينتهى قداس الخميس الكبير (خميس العهد) فى الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر تقريباً حتى يبدأ البابا ـ وهو صائم ـ فى قراءة فصول أناجيل الروح القدس، يقرأها باللغة القبطية بمفرده، وهو واقف مرتدياً الشملة البيضاء ممسكاً شمعة بيده.. وكان هذا يستغرق وقتاً ليس بالقصير... ولكنه يصلى شاعراً بالعزاء العظيم.

عليك أيها القارىء العزيز أن تتصور بعد ذلك مدى الحزن الذى اعتراه، عندما أمره الأطباء بملازمة الفراش بعد النوبات القلبية التى أصابته فى أيامه الأخيرة.. لقد أثر فراقه للمذبح فى نفسه تأثيراً بالغاً وهو الذى لازمه أكثر من أربعين عاماً رافعاً عليه القرابين المقدسة

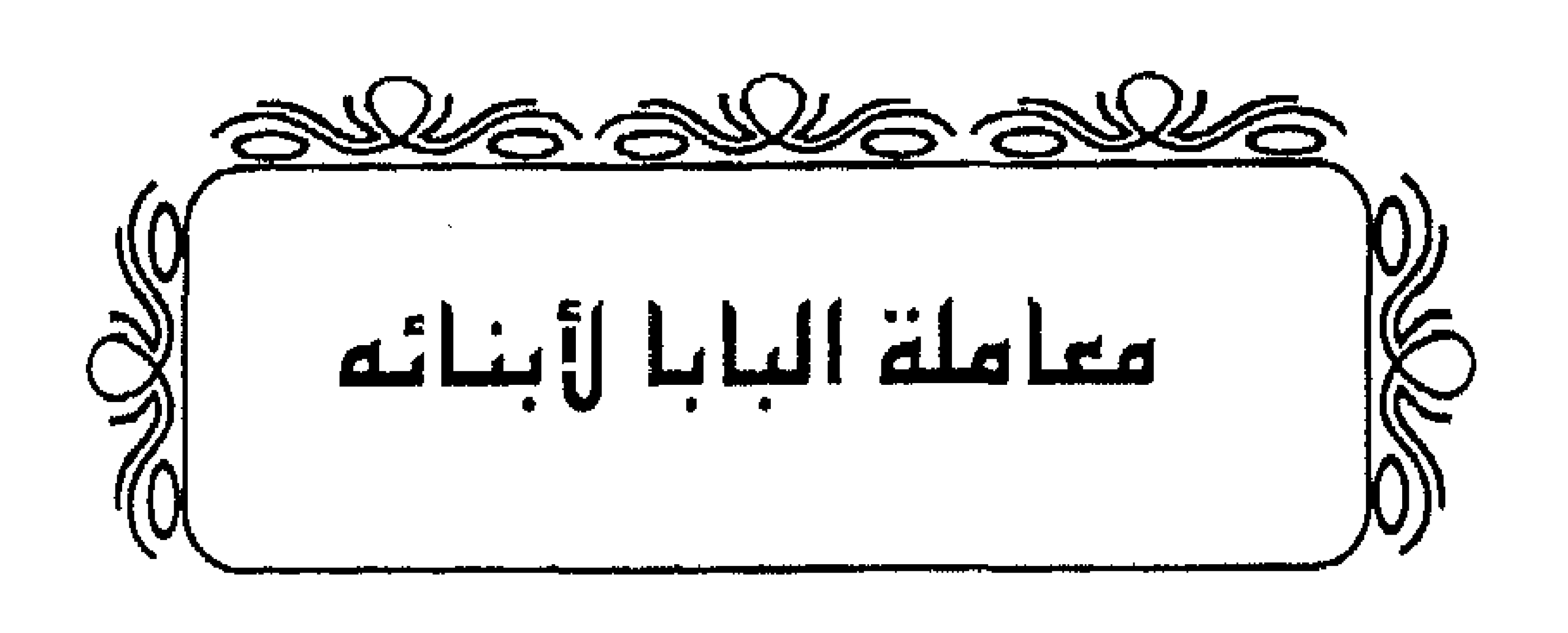
كل يوم، والبخور فى الصباح والمساء، ولذلك ـ وبناء على طلب قداسته ـ وضعت سماعة فى قلايته ليتابع بواسطتها الصلوات المقامة بالكاتدرائية. وليشترك فيها بفكره وقلبه ودموعه. وكان يبين للآباء الكهنة ما أخطأوا فيه وما أصابوا، مُركزاً بصفة خاصة على توضيح الألفاظ وعدم الاسراع فى الصلوات، وعلى ضرورة الاكثار من الصلاة باللغة القبطية.

وهكذا كانت الحياة على الأرض بالنسبة لبابانا القديس كيرلس السادس صلاة مستمرة... اتصال لا ينقطع ينبوع البركات التى تفوق العقل ولا يبلغ مداها أى وصف... والصلاة بالروح هى التى تخلص القلب من ارتباطات العالم... وتعطيه أنات الرغبة الحقيقية فى الانطلاق حيث الطهر الأسنى.

وكم من صعاب ذُللت بصلواته... وكم من مشاكل حلت... كما جرت آيات ومعجزات...

وعلى صفحات تالية من هذه المذكرات سنشتم أريج بخور صلاته المقبولة، وسنسمع انتصارات النعمة، وسنرى ماذا فعلت الصلوات ، وما هى ثمرة الآنات..

الفصل الخامس



معاملة البابا لأبنائه

ـ قصبة مرضوضة لا يقصف. وفتيلة مدخنة لا يطفىء

(مت : ١٢ ـ ٢٠)

كان قلبه يلتهب بالحب لأبنائه، تجذبه جذباً إلى أولاده جذوة إلهية متقدة.. إنه لا يستطيع إلا أن يحبهم، ولا يقدر إلا أن يفتح لهم قلبه، قبل أن يفتح بابه... من أجلهم تألم، وحزن، وبكى، واكتأب، وتعب.

وإذ كان الحب الذى يملأ قلبه حباً إلهياً، لذلك فقد أحب الجميع: من أساء إليه مثل من كرمه، من قبله مثل من رفضه. وهو إذا زجر أو قسى، فلأنه يحب محبة صادقة مخلصة. وإذا تحنن وأشفق، فهو يشدد ركباً مرتخية، أو يخشى على قصبة مرضوضة من عاصفة لا يريدها أن تقصف بعود يابس.

وإذ كانت روحه أقوى من جسده بما لا يقاس، لذلك لم يعقه مرض أقعده عن أن يلتقى بأبنائه.. يلقاهم لأنه يحبهم.. حتى وهو على سرير المرض تنتابه أتعاب وأوجاع لا يعرف أحد عنها شيئاً، سوى القريبين إليه جداً.

سوف نذكرك يا أبانا لسنوات وسنوات. وسوف يذكرك التاريخ لأجيال وأجيال. وسوف يشهد لك السمائيون إلى دوام الأزمان: إنك الآب الذى كان لأولاده.. والراعى الذى كان لرعيته.. معلماً لهما بوداعة واتضاع ومحبة.. معطياً إياها سلاماً من فيض سلام السماء عليك.. لم تكن لها واعظاً.. بل كنت لها بحياتك عظة..

وإنى إذ أقتطفت من حياة قداستك شذرات من هنا وهناك، اعترف أن حبك لأبنائك أمر لا يمكن أن ترسم حدوده كلمات، أو تحكيه بعض القصص، لذلك، فإنى أدعو القارىء مخلصاً أن يتعمق بروح صافية كل واقعة أرويها، لعله يستطيع الوصول إلى الأبعاد الحقيقية

لعمل الله فى قلب هذا الرجل القديس.. لقد بكيت مع كل قصة من هذه القصص، بل مع كل كلمة من كلماتهما.. ولِمَ لا.. وقد توارى عنا أحب من كان يحبنا.

ما كان يترامى إلى سمع البابا أن أحد الآباء الأساقفة مريض، وأنه موجود بالقاهرة إلا ويذهب للسؤال عنه.

كما يرسل من يسأل عن صحة الكاهن المريض أو يتصل به تليفونياً للإطمئنان عليه، ويستقبله بالبشر بعد أن يشفى من مرضه.

وفى أوائل حبريته زار المستشفى القبطى بالقاهرة والإسكندرية، مبتدأ بنزلاء الدرجة الثالثة، مما كان له أعظم الأثر فى النفوس كما أنشأ كنيسة بكل منهما فيما بعد.

وكم من مرة يلمح البابا شيخاً عجوزاً يريد بركة ولا يستطيع الوصول إليه لشدة الزحام، فكان يتجه نحوه ويصلى له.

وكم من عروسين كانا يلتمسان أخذ صورة تذكارية مع البابا، فيستجيب للرجاء مانحاً إياهما الدعوات، ولكنه فى ذات الوقت يرفض دائماً أن يصور مع خطيبين.

وكم من مرة طلب الحل من الكاهن الذى يقدس معه فكان يتحرج كثيراً ولكن البابا يُصر مردداً: "قول.. يا أبونا قول.. حللنى يا ابنى". وأمام الحاح البابا كان الكاهن يعطيه الحل.

كفاية... وجدنا الراعى الصالح:

حضر الأنبا أثناسيوس مطران بنى سويف ذات يوم لمقابلة قداسة البابا، فلم يجده فى قلايته، وعرف أنه مازال يستقبل زائريه بصالون الطابق الأرضى منذ خروجه من الكنيسة عقب صلاة القداس، وكانت الساعة وقتئذ قاربت الثانية والنصف بعد الظهر، ولم يكن البابا بالتالى قد تناول طعام الإفطار بعد.

دهش نيافة المطران لذلك، واتجه إلى البابا وهو يقول للزوار "كفاية أحنا وجدنا الراعى الصالح... أنتم عايزين تضيعوه من وسطينا". واصطحب البابا إلى قلايته بالدور العلوى كابن صغير مطيع لأبيه. ولكنه عاد لأولاده بعد صلاة عشية، وقضى معهم عدة ساعات.

كنت مريضاً فزرتمونى:

سمع البابا بمرض الأنبا كيرلس مطران قنا (المتنيح). وعلم أنه موجود بمنزل أحد أقاربه بالقاهرة، فذهب البابا إليه وتباركا وصليا معاً. وبكى نيافة المطران متأثراً من هذه المحبة.

ذهب البابا لزيارة الأنبا كيرلس مطران البلينا (المتنيح) أثناء مرضه بالمستشفى القبطى. وما أن رآه نيافة المطران حتى قام واقفاً ـ بالرغم من أنه كان لا يقوى على ذلك ـ وقبل البابا وتعانقا طويلاً.

من يكرمكم يكرمنى:

عندما كان يستقبل أحد الآباء الأساقفة أو المطارنة الأقدم منه فى الرسامة، كان يترك كرسيه ليستقبله عند باب حجرة الاستقبال، ويقبله ويأخذ بيده ويجلسه إلى جواره.

الكرامة لمن لهم الكرامة:

لم يقسو البابا على أى من الآباء الكهنة أمام أفراد الشعب مهما كان السبب، بل لمست حرصه الدائم على التحدث معه فى سرية فيما أخطأ، عملاً بقول الرسول بولس إلى تيموثاوس تلميذه: "لا تنتهر شيخاً (أى قسيساً)". فإذا أخطأ الكاهن فى صلاته، أو كيفية أداء الطقس كان يدنو منه وهو ممسك بالخولاجى، ويعرف الخطأ والصواب. وإذا أخطأ فى الطقوس التى تُعلم بالتسليم ـ وهى عادة لا تدون فى الخولاجيات المقدسة ـ فيشرحه له فى صوت منخفض جداً.

وقد كان قداسته متشدداً فى ضرورة الصلاة باللغة القبطية ـ بحيث لا يخلوا منها قداس ـ وأصدر منشوراً بذلك للآباء الكهنة.

يا ابنى أعطنى قلبك:

سمع قداسة البابا أن أحد الشمامسة يعيب على كاهن طريقة أدائه للقداس إذ تكاد تكون صلاته بلا لحن، فأراد أن يُقوّم سلوك الشماس بلطف، فانتهز فرصة وجوده مرة أثناء صلاة ذلك الكاهن للقداس فقال للشماس: "شايف أبونا بيصلى أزاى... الصلى طالع من قلبه.. ياريت اتنين ثلاثة زيه فى العالم لكان ربنا يرفع غضبه عنا" فخجل الشماس وطلب الصفح والحل من البابا.

شددُوا الأيدى المسترخية:

قدمت شكاوى ضد أحد الكهنة فكان البابا ينصحه ويقويه ولما لمس الكاهن حنان قداسته، ومحبته كان يتردد عليه ملتمساً منه أن يؤازره بدعواته، فكان يشجعه بقوله: "يا أبونا بادعى لك كل يوم.. فقم وشد حيللك، وشرفنى".

القاضى العادل:

اشتكت لجنة إحدى الكنائس بالقاهرة من مرتل الكنيسة متهمة إياه بالإهمال، فلم يصدر البابا أمراً بشأنه، إلا بعد أن أرسل أحد الموثوق فيهم، وتحقق من صحة الشكوى.

دعوا الأولاد يأتون إلىَّ:

كان البابا يشجع الشمامسة الصغار بأن يدعهم يتلون أغلب المردات، ويشدد على المرتلين لكى ينتظروا حتى ينتهى هؤلاء الشمامسة من المرد بأكمله. ويقول متسائلاً للمرتل الذى يقاطع الشمامسة، ليتلو المرد الخاص بالشعب: "ولما يغلط الشماس.. مين اللى يصحح له غلطه ؟!"

لئلا يخورُوا فى الطريق:

كان البابا يأمر بإعداد طعام للشمامسة الصغار الذين يشتركون معه فى قداسات الصوم الكبير حيث أنها تنتهى الساعة الخامسة مساء ويسأل عدة مرات متأكداً من تناولهم الطعام قبل انصرافهم.

بسطاء:

فى إحدى الأمسيات عندما كان البابا يدور بالبخور فى الكنيسة ـ أثناء صلاة رفع بخور عشية ـ تقدمت إليه امرأة بسيطة، وقدمت له ثلاث بيضات، وقالت له: "خد دول يا سيدنا وباركنى". فأخذ بابا الإسكندرية الثلاث بيضات ووضعها فى جيبه، رغم إنى أسير خلفه فلم يسلمها لى، ثم سألها مبتسماً: "مسلوقين كويس يا ست. ولا يسيحوا فى جيبى؟" فأجابت" لا يا سيدنا مسلوقين كويس". فانفرجت أساريره. وقال لى: "ضمنا العشاء يا ابنى"، وصرفها داعياً لها بالبركة.

خراف بلا راعى:

كان قداسة البابا يكن حناناً خاصاً نحو بناته طالبات الجامعة والموظفات حاثاً إياهن على التمسك بالحشمة والطهارة، والتقرب إلى الله معطياً إياهن أمثلة من حياة قديسات الكنيسة. وكان يردد: "أنه عندما ينشغلن بحب الكنيسة تبتعد عنهن قوة الشر. وقد كان البابا يبدى حزنه على هذا الجيل وسمعته مرة يقول فى حجرته متنهداً "حاجة تبكى" ... حاجة تحزن خراف بلا رعاة".

وقد أثمرت حكمته إذ توافدن بإعداد كبيرة على الكنيسة لحضور القداسات وأخذ بركة قداسته قبل أن يتوجهن إلى الدراسة أو العمل.

الزينة الخارجية:

ومع هذا لم يتهاون قداسته فى مطالبتهن بارتداء الملابس المحتشمة، بل كان يؤنبهن بشدة على الملبس غير المحتشم. وعندما لا يعجبه زى إحداهن كان يقول لها: "حطى حاجة على رأسك يا ست" أو "أخرجى بره حطى حاجة على كتفك". ولم يفتر حتى عن توجيه الصغار، فإذا رأى طفلة بملابس قصيرة قال لها: "قولى لأمك تطول لك الفستان" أو إذا كانت الطفلة ترتدى فستاناً بدون أكمام كانت نصيحته : "قولى لأمك تعملك كم".

وذات يوم حضرت سيدة مع زوجها لأخذ بركة من البابا حيث أنها كانت مريضة بالمستشفى، ولاحظ قداسته أنها ترتدى ملبساً غير محتشم فزجرها: "أخرجى بره.. هل هذه ملابس تقابلى بها البابا؟" فخرجت السيدة تبكى بحرقة، وبعد انصراف الزوار دخلت مرة أخرى مع زوجها فصلى لهما البابا وصرفهما، ولكن دون أن يظهر لهما حنوه الذى تعوداه منه.

كونوا كاملين:

تشدد مع الشباب أيضاً فى ضرورة ارتداء الملابس المحتشمة فعندما يرى شاباً مرتدياً قميصاً بنصف كم، كان يضربه على ذراعه ويؤنبه قائلاً: "يجب أن تكونوا كاملين". وإذا حضر لمقابلته شاب طويل الشعر كان يمسك به ويشده ويقول له : "ده ما يصحش". ومنهم من تأثر وأطاع. أما إذا رأى شاباً ممن يظهرون بمظاهر الخلاعة والانحلال فكان قداسته يضربه على ذراعه ويؤنبه بقسوة.

الراعى الصالح:

حرص البابا على اللقاء بأبنائه ـ حتى ولو كان متعباً ـ ليطمئن عليهم حاملاً عنهم أتعابهم.

وقد حدث فى أحد الأيام بعد انتهاء قداسته من صلاة القداس الإلهى وقبل تناول الإفطار أن توافد عدد كبير من الزوار ملتمسين البركة، وحينما سألنى عن عددهم عرفته أنهم كثيرين وإذ كان متعباً رجوته أن يصرفهم بسرعة، فنظر إلىّ وسألنى بحدة: "أنت تقصد إيه؟؟".. فخجلت من تصرفى.. ثم طلب منى إدخال الزوار وأفاض فى الحديث معهم، ولم يفرغ من ذلك إلا فى موعد الغذاء، وهنا أراد قداسة البابا أن ينبهنى إلى خطئى بطريقته الأبوية راجعاً باللوم على نفسه قائلاً لى: "لو كنت سمعت كلامك ما تأخرت إلى هذا الوقت دون إفطار"، وخرجت من أمام قداسته باكياً، ومتأثراً من فرط حنانه ومحبته لرعيته.

والأكثر من هذا كان يطلب منى النزول للتأكد من عدم وجود زوار فى الطابق الأرضى قبل أن يدخل قلايته ليستريح.

كلوا مما يقدم لكم:

ما رفض قداسته أى طعام قدمه له أى إنسان، فكان يأخذ منه داعياً له، حتى أن بعض البسطاء أحضروا لقداسته سندوتشات فول وطعمية فقبلها منهم.

كما تعودت زوجة شرطى أن توزع على الفقراء فطيراً فى عيد رئيس الملائكة الجليل ميخائيل، وتعطى لقداسته نصيبه إذ تحضر له ثلاث فطائر، فيقبلها بفرح، ويتذوق منها أمامها، ثم يصرفها بالبركة ويعطينى الفطائر، وكنت أنسى أمرها تماماً، ولكنه كان يسألنى عنها قائلاً: "هات الفطير نأكل منه، علشان نأخذ بركة يا ابنى" ويأكل منها قدراً يسيراً.

من أراد أن يكون عظيماً:

حضر إلى البابا أحد الأشخاص وطلب من قداسته قطعة قطن مبللة بالزيت المصلى عليه ليعطيها لزميل مريض يلتمس صلوات البابا. فقام قداسته وأحضر زجاجة الزيت، وبلل به قطعة قطن، وأثناء ذلك سقط قليل من الزيت على يد الزائر. فطلب إليه البابا أن يغسلها. فغسلها ثلاث مرات، وكم كانت دهشته عندما وجد البابا واقفاً خلفه منتظراً حاملاً له الفوطة ليجفف بها يديه.

تمثلوا بى فإنى وديع:

حدث أن اتصل بى البابا تليفونياً من حجرته الخاصة، فرد عليه شخص كان موجوداً بحجرتى وقتئذ، ولم يعرف أن محدثه هو قداسة البابا، فكانت إجابته متسمة بالجفاء وقد حضرت أثناء ذلك، وسمعت صوت قداسته فأسرعت للرد عليه، فخجل هذا الشخص جداً وذهب إلى البابا طالباً الصفح والحل، فعاتبه فى ظرف وبساطة.

جسداً واحداً وروحاً واحداً:

طلب قداسته من أحد السعاة إعداد بعض الاحتياجات الخاصة بى، وكان ذلك فى أوائل أيام تلمذتى لقداسته، فرد الساعى قائلاً: أنا خدامه يا سيدنا". ولكن قداسته كأب للجميع رفض هذا القول قائلاً: "بل إخوة"، وهكذا عشنا إخوة متحابين تحت ظل بابانا الحنون، وكان درساً نافعاً لى فى بدء تلمذتى.

كونوا حكماء:

حدث أن وجه لى أحد العاملين بالبطريركية ـ وكان مسناً ـ لفظاً قاسياً، وعندما أردت معاتبته منعنى البابا، وبعد ذلك جاءنى الرجل معتذراً، وتصادقنا من ذلك الوقت بفضل حكمة البابا.

أحبُّوا أعداءكم :

دأب بعض الضعفاء على إصدار منشورات ضد البابا مملوءة سباً وقذفاً. ولكن عاد معظمهم بعد ذلك إلى قداسته معتذرين، معترفين، فكان يقبلهم ويقول لمن يأتيه منهم: "أنا كنت أعرف عنك كل شىء، وكنت أصلى لك". وقد أسند لبعضهم أعمالاً هامة فى الكنيسة. وكان هناك من يتساءل عن سر ذلك، فكان يجيب: "أحبوا أعداءكم ـ باركوا لاعنيكم ـ صلوا من أجل الذين يسيئون إليكم."

كونوا ودعاء :

عندما يطلب قداسة البابا من أحد السعاة قضاء أمر ما كإحضار كوب ماء أو ملابس الصلاة، كان يطلبها بوداعة ولطف ويقول مداعباً: "أحضر لى يا ابنى (كذا) ... لكى أدعو لك الدعوتين اللى فاضلين".

فى دير مارمينا بمريوط كان البابا يقيم فى الدور العلوى من جناحه الخاص. وبعد تناوله الطعام يقوم بنفسه بإنزال الأوانى إلى الطابق الأرضى ثم يصعد، ويقف فى أعلى السلم، ويناديناء وعند حضورنا، وقبل صعود السلم، يعرفنا أنه قد أنزل الأوانى، وحاولنا كثيراً نثنيه عن القيام بهذا العمل، ولكنه كان يقول: "يكفى تعبكم معى فى أشياء أخرى كثيرة".

تجديد الكاتدرائية المرقسية القديمة

عند عودة قداسة البابا كيرلس من مؤتمر رؤساد الكنائس الإرثوذكسية الشرقية الذى اتعقد فى أديس أبابا سنة ١٩٦٥ . فوجىء بمقاول مكلف من قبل المجلس الملى العام يقوم بإزالة بياض سقف الكاتدرائية، وشرع فى هدم القبة الوسطى ليصب أخرى مكانها من الأسمنت المسلح، ولكن البابا منعه، وصرخ فى وجهه قائلاً: "أن الكنيسة كلها من الخشب" (١) ... وكم كان حزن البابا على اتلاف الرسومات الموجودة بالسقف، إذ كان يعتبرها آثاراً عزيزة للآباء السابقين، ثم استدعى المقاولين شاروبيم وفرج أقلاديوس من الإسكندرية، وبمساعدة ابن أخيهم السيد / عزيز ميخائيل المقاول بالقاهرة أعادوا بناء الواجهة الغربية للكنيسة، وكذلك الدورين البحرى والقبلى. وأقاموا طابقين بالخرسانة المسلحة يسعان نحو ألف وخمسمائة مقعد. كما أعادوا ترميم القبة الوسطى وزينت برسومات جميلة. كما وضعت أساسات جديدة للهياكل، وشيدت مذابح لكل منها قبة خاصة مزينة بأحلى الرسومات.

كما هدمت الكنيسة الصغرى الملحقة بالكاتدرائية (كنيسة الشهيد اسطفانوس)، ووضعت لها أساسات جديدة، وبنيت كلها بالخرسانة المسلحة مع ثلاث مذابح بثلاث قباب، وزادت مساحتها كثيراً عما كانت ذى قبل.

وفى ليلة عيد الميلاد المجيد سنة ١٩٦٦ احتفل البابا بافتتاح الكاتدرائية بعد انتهاء ترميم الجزء الأكبر منها. وأدى الصلاة مع قداسته مندوبو الكنائس الشرقية فى قداس تاريخى نقلته الإذاعة للعالم أجمع.

أحب البابا هذه الكنيسة كثيراً، وكان يردد أنه يشعر برهبة الله تملؤها، وخوفه حال فيها، وإن لها روحاً خاصة يرتاح إليها.

---

(١) الكنيسة مصممة بطريقة هندسية فريدة لتقاوم أى هزات أرضية.

ومما هو جدير بالذكر أن هذه الأعمال تكلفت حوالى أربعين ألفاً من الجنيهات. وحينما انتقل البابا إلى السماء ترك ما يكفى لاتمام العمل فيها.

عمل الميرون المقدس

فى أسبوع البصخة المقدسة، وفى شهر أبريل عام ١٩٦٧ ، أقام البابا صلوات تقديس الميرون المقدس بحضور ممثلى الكنيسة الأثيوبية، والآباء المطارنة والأساقفة والكهنة والرهبان بالكاتدرائية المرقسية القديمة وقد عدل البابا عن عمل الميرون فى الدير المحرق حسبما كانت النية منعقدة قبلاً اشفاقاً منه على الكثير من المؤمنين الذين أبدوا رغبتهم فى حضور تلك الصلوات المباركة.

وقد بدأت الصلوات عقب صلاة ترحيم يوم أحد الشعانين، فأنزل البابا بنفسه معدات طبخ الميرون وهى مكونة من عطور وأطياب وزيت زيتون نقى. واستمرت عمليات طحن وتنقية هذه المواد أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء من البصخة المقدسة.

وفى يوم خميس العهد أُقيمت صلوات عقب القداس، ووضعت الخميرة المقدسة فى الميرون ليلة عيد القيامة المجيدة. وأعطى جزء منه لوفد الكنيسة الأثيوبية.

هذا، ويعتبر تقديس الميرون من الأعمال الهامة التى لا تحدث إلا نادراً، ويذكر التاريخ الكنسى أنه لم يقدس الميرون إلا خمسة وعشرون مرة قبل أن يقوم البابا كيرلس بقديسه.

وقد أعدت وزارة الثقافة فيلماً سينمائياً تسجيلاً لهذا الحدث العظيم، عرضته داخل البلاد وخارجها. كما أوفدت عدة هيئات أجنبية مندوبيها إلى القاهرة خصيصصاً لتسجيل هذا الحدث، وإعداد أفلام عنه.

الفصل السادس

تشييد الكاتدرائية المرقسية الجديدة

وضع حجر الأساس

فى يوم ٢٤ يوليو سنة ١٩٦٥ تم الاحتفال رسمياً بوضع حجر أساس أكبر كاتدرائية فى الشرق، تحمل اسم القديس مرقس الرسول، وحضر الحفل الزعيم الخالد جمال عبد الناصر، وألقى خطاباً رائعاً موضحاً فيه سياسة الدولة نحو المواطنين جميعاً، مؤكداً أن العدالة هى الطريق الذى ينتهجه، وأن المحبة هى رباط عنصرى الأمة، وقد كان لهذا الخطاب صداه البعيد فى أنحاء العالم، وعنى به مجلس الكنائس العالمى. وقام بترجمته إلى عدة لغات، ووزع منه آلاف النسخ باعتباره نموذجاً صالحاً لما ينبغى أن تقوم عليه العلاقة بين المواطنين فى جميع البلدان.

وتلقى البابا سيلاً من البرقيات من جميع إنحاء العالم للتهنئة بوضع حجر الأساس ومشيدة بسياسة الدولة. كما قدم إلى المقر البابوى سفراء بعض الدول، ليعبروا عن مشاعر الغبطة والبهجة لهذا الحدث. واطلع سعادة سفير السنغال قداسة البابا على جريدة السنغال شبه الرسمية يتصدرها خطاب الزعيم وصورة كبيرة له مع قداسة البابا وهما يتعانقان.

تكريس حجر الأساس :

فى مساء ٨ مايو ١٩٦٧ ـ ٣٠ برمودة ١٦٨٣) أقام البابا كيرلس صلاة تبريك لمكان بناء الكاتدرائية الجديدة، ويوافق هذا اليوم المبارك عيد استشهاد القديس مرقس الرسول، وعشية عيد ميلاد القديسة مريم البتول.

وحضر هذا الحفل الآباء الأساقفة والمطارنة، وكثير من الشعب . وعقب هذه الصلاة الطقسية رش البابا الماء المقدس فى مكان البناء. وبدأت شركة النيل العامة للخرسانة المسلحة (سبيكو) على الفور فى إقامة الكاتدرائية العظيمة بعد أن بارك البابا رسوماتها وتصميماتها وأعلنت السماء غبطتها بهذا العمل العظيم، إذ تبارك بظهور رؤى منيرة فوق قبة هذه الكاتدرائية ليلة ١٨ مايو، شاهدها نيافة الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمى وآخرون.

حفل الافتتاح :

فى ٢٥ يونية عام ١٩٦٨ احتفل رسمياً بافتتاح الكاتدرائية، وحضر الحفل الزعيم الراحل جمال عبد الناصر، وجلالة الامبراطور هيلاسلاسى الأول عاهل أثيوبيا، وممثلون لمختلف كنائس العالم بلغ عددهم مائة واثنان وسبعون ضيفاً.

وألقى أعضاء بعض الوفود كلمات للتهنئة بهذا العمل العظيم، وبهذا اليوم التاريخى، ومشيدين بعظمة الكنيسة القبطية، والبابا كيرلس السادس الذى تحققت فى عهده أمجاد كثيرة للكنيسة.

ونذكر على سبيل المثال ما قاله مار أغناطيوس يعقوب بطريرك سوريا فى كلمته الطويلة الشيقة.... أن كنيسة سوريا الإنطاكية لترى فى شخص قداسة البابا الأنبا كيرلس السادس صورة مجسمة لسمية القديس كيرلس الأول دعامة الأرثوذكسية الراسخة... وذلك لتقواه وإيمانه الراسخ وعقيدته الصلدة. فعسى أن تتوثق فى عهده الميمون أواصر المحبة والإخوة بين كنيستنا الشقيقتين..."

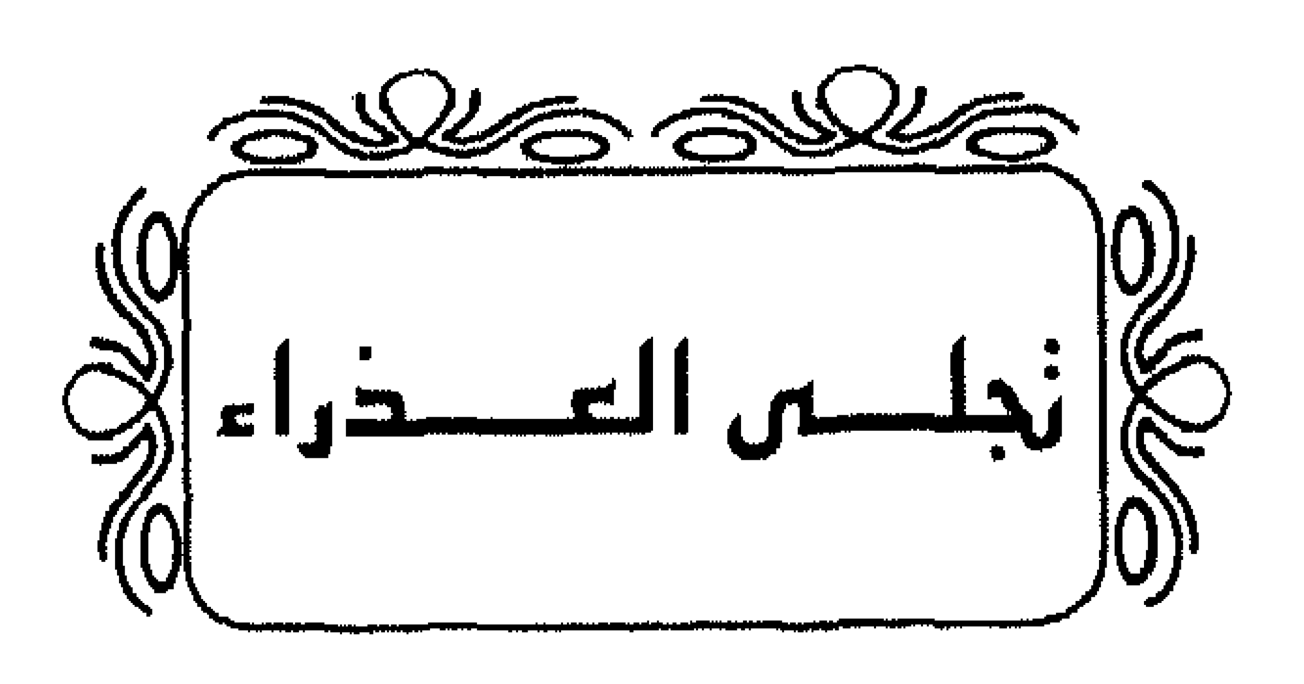
وبعد القاء الكلمات توجه البابا وضيوفه الكرام لازاحة الستار عن اللوحة التذكارية.

وفى صباح اليوم التالى أقيم بها قداس على المذبح المهدى من كنيسة روسيا. واشترك فيه أساقفة من الكنائس الشرقية الأرثوذكسية، كما حضره جلالة الامبراطور هيلاسلاسى، ووفود من كنائس العالم، وجموع غفيرة من أبناء الشعب امتلأت بهم الكاتدرائية، وذلك بخلاف عدة آلاف وقفت خارجها تستمع إلى الصلاة من خلال مكبرات الصوت.

وقال البابا كيرلس لغبطة مارأغناطيوس الجالس إلى جواره... "إنه يوم عظيم حقاً يشبه عُلية صهيون التى جمعت تلاميذ المسيح له المجد". فابتسم مار أغناطيوسى وقال: "بهمة قداستكم يا سيدى البابا كيرلس". فأعطى البابا المجد لله والشكر لفضله.

وفى نهاية القداس أقبل الجميع يقبلون الجسد الطاهر لكاروز الديار المصرية العائد من أرض غربته وحمله البابا كيرلس ونزل به سلالم الكاتدرائية بصحبة جلالة الامبراطور ووفود الكنائس وسط تهليل الحاضرين وتسبيحهم، يحف بهم الكهنة والشمامسة بالمجامر والبخور الطيب حيث أودع الجسد الطاهر فى مزارة الجميل.

الفصل السابع



تجلى العذراء

الزهور ظهرت فى الأرض بلغ أوان القصب وصوت اليمامة سمع فى أرضنا (نشيد الأناشيد)

كنيسة السيدة العذراء بالزيتون حيث كان تجليها الاعجازى منذ ٢ أبريل ١٩٦٨ والذى أستمر سنتين وأربعة شهور وهو الأمر الذى لا مثيل له فى أى مكان فى العالم.

شهدت السماء بما للبابا المعظم كيرلس السادس من قداسة بأن شرفت عهده بحدث تاريخى فريد... ومعجزة دهرية مجيدة هى ظهور البتول العذراء أم النور بالكنيسة المدشنة باسمها الطاهر بضاحية الزيتون بالقرب من القاهرة. ظهرت بنور سمائى يعجز البشر عن وصفه. إن هذا الإعلان السمائى العظيم لم يحدث مثله منذ حلول الروح القدس على التلاميذ القديسين فى يوم الخمسين.

ففى الساعة الثامنة والنصف من مساء يوم الثلاثاء المبارك ٢٤ برمهات سنة ١٦٨٤ للشهداء، الموافق ٢ أبريل سنة ١٩٦٨ ميلادية شاهد السيد / عبد العزيز على ـ وهو خفير بجراج هيئة النقل العام المقابل للكنيسة ـ فتاة تمشى فوق القبة، فصاح بها، واجتمع حوله بعض العاملين بالجراج وهم السيد / مأمون عفيفى، والسيد / حسين عواد، والسيد / ياقوت على، وأخذوا يتطلعون إلى أعلا القبة فتبين وجود فتاة بملابس بيضاء جاثية فوق القبة أمام الصليب الذى يعلوها فأثار دهشتهم هذا المنظر غير المألوف. ثم نظروها وقفت، فتبادر إلى ذهنهم أنها تريد الانتحار ـ خاصة وأن القبة مكورة ـ فتعالت صرخاتهم، وأبلغوا الشرطة لنجدتها. وتجمع المارة، وجاء رجال الشرطة، ولكن شكل الفتاة بدأ يزداد وضوحاً ويشتد ضياء، فظهرت صورتها واضحة تماماً، باهرة فى غلالة من النور الأبيض.. تسير فى هدوء فوق القبة وجسمها يضىء كالشمس، وتمسك بيدها ما يشبه غصن الزيتون. وظهر فجأة سرب من الحمام الأبيض من فوق رأسها، وطار إلى السماء، كما ظهرت حولها دائرة من النور.

حاول بعض الذين تجمعوا أن يتأكدوا مما يرون. فسلطوا أضواء كاشفة من مصابيح السيارات على هذا الجسم النورانى، فازداد تألقاً وقاموا بتحطيم المصابيح الكهربائية القائمة حول الكنيسة، ثم اطفأوا أنوار المنطقة، فبدت أم النور مريم أشد نوراً، وأكثر ضياء ووضحوحاً.

انتشر النبأ وتناقلته الألسن والصحف، وطيرته وكالات الأنباء إلى بلاد العالم أجمع. ولما تكرر هذا الظهور عدة ليالى، وفى أوقات وبصور وأشكال مختلفة، فإذ بمئات الألوف ـ سواء من أبناء الكنيسة. أو من غيرهم ـ يزحفون لمشاهدة هذا الظهور، ويقفون ساعات طوالا يترقبونه.

ومن أحداث الظهور العجيبة أنه فى الساعة الثالثة إلا ربعاً فجر يوم الثلاثاء ٣٠ أبريل سنة ١٩٦٨ كانت الألوف تقف فى الشوارع المحيطة بالكنيسة مترقبة ظهورها. فإذا بهم يرون حمامتين تنطلقان من فوق الكنيسة، ثم ظهر شكل نورانى كالسحاب الذى توهج، وظهرت منه العذراء دفعة واحدة، وكانت فى هذه الليلة تتحرك إلى اليمين، وإلى اليسار، وتومىء برأسها وتبسط يديها للناس كأنها تحييهم وتباركهم. واستمرت على هذه الحال حتى الساعة الخامسة.

وقد استمر الظهور شهوراً طويلة صاحبه ظهور أجسام نورانية تشبه النجوم وانطلاق حمام بجسم نوراني فى سماء الكنيسة طائراً إلى أعلى حتى يتلاشى، وانطلاق كميات هائلة من البخور من أعلى سطح الكنيسة.

ونال نعمة الشفاء مئات من ذوى الأمراض المستعصية التى عجز الطب عن علاجها. فقد فتحت أعين العميان، وبرأ المشلولون، وقام المقعدون من مختلف الأديان والجنسيات، فعم الفرح، والعزاء الجميع ومجدوا الله كثيراً.

وصاحب هذا الظهور أيضاً ظهور البتول أم النور لأفراد كثيرين فى منازلهم، تعزيهم وتشفى أمراضهم دون تفرقة بين دين أو جنسية.

وقد زادنى الشرف العظيم إذ شاءت العناية الإلهية وسمحت لي أن أخدم بكنيستها بالزيتون ككاهن لها لتأدية الشعائر والطقوس الدينية وذلك أثناء ظهورها وتجليها سنة ١٩٧١م. فقد رأيت المعجزات التي بلا حصر والتى تتزايد كل يوم بصورة قوية لم يكن أحد يحلم بها أو يتخيلها وكنت من شهود العيان لكثير من المعجزات التى سجلت الجرائد اليومية وبعض الكتب القليل منها.

وأمام هذا الحدث ارتفعت القلوب بتمجيد الله، وتأكد لأبناء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية عظمة كنيستهم، وصحة عقيدتها، ورسوخها فعاد إلى أحضانها كثيرون ممن خدعوا بمذاهب فلسفية الحادية، أو عقائد دينية غريبة.

وكان لابد للكنيسة أن تقول كلمتها، وبعد الدراسة والبحث الدقيق أمر قداسة البابا باصدار بيان بابوى عن هذا الظهور أذيع يوم السبت ٢٦ برمودة سنة ١٦٨٤ الموافق ٤ مايو ١٩٦٨ فى مؤتمر صحفى عقد فى المقر البابوى، وحضره عدد كبير من رجال الصحف ووكالات الأنباء والإذاعة فى مصر والخارج، ومن بينهم صحفيين حضروا خصيصاً من الخارج لحضور هذا المؤتمر. وقام نيافة الأنبا أثناسيوس اسقف بنى سويف بتلاوة البيان باللغة العربية ثم الإنجليزية.

بيان من المقر البابوى بالقاهرة

منذ مساء يوم الثلاثاء ٢ أبريل ١٩٦٨ الموافق ٢٤ برمهات ١٦٨٤ توالى ظهور السيدة العذراء أم النور فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية التى باسمها بشارع طومانباى بحى الزيتون بالقاهرة.

وكان هذا الظهور فى ليالٍ مختلفة كثيرة لم تنته بعد، بأشكال مختلفة فأحياناً بالجسم الكامل وأحياناً بنصفه العلوى. يحيط بها هالة من النور المتلألىء، وذلك تارة من فتحات القباب بسطح الكنيسة، وأخرى خارج القباب وكانت تتحرك وتتمشى فوقها، وتنحنى أمام الصليب العلوى، فيضىء بنور باهر، وتواجه المشاهدين، وتباركهم بيديها وإيماءات رأسها المقدس، كما ظهرت أحياناً بشكل جسم كما من سحاب ناصع، أو بشكل نور يسبقه انطلاق أشكال روحانية كالحمام شديد السرعة. وكان الظهور يستمر لفترة زمنية طويلة وصلت أحياناً إلى ساعتين وربع كما فى فجر الثلاثاء ٣٠ أبريل ١٩٦٨ الموافق ٢٢ برمودة ١٦٨٤ حين استمر شكلها الكامل المتلألى من الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والأربعين إلى الخامسة صباحاً.

وشاهد هذا الظهور آلاف عديدة من المواطنين من مختلف الأديان والمذاهب، ومن الأجانب ومن طوائف رجال الدين والعلم والمهن، وسائر الفئات الذين قرروا يقين رؤيتهم لها. وكانت الأعداد الغفيرة تتفق فى وصف المنظر الواحد بشكله وموقعه وزمانه بشهادات اجماعية تجعل ظهور السيدة العذراء أم النور فى هذه المنطقة ظهوراً متميزاً فى طابعه، مرتقياً فى مستواه عن الحاجة إلى بيان أو تأكيد.

وصحب هذا الظهور أمران هامان: الأول انتعاش روح الإيمان بالله والعالم الآخر والقديسين، واشراق نور معرفة الله على كثيرين كانوا بعيدين عنه، مما أدى إلى توبة العديدين وتغيير حياتهم والثانى حدوث آيات باهرة من الشفاء المعجزى للكثيرين ثبت علمياً، وبالشهادات الجماعية.

وقد قام المقر البابوى بجمع المعلومات عن كل ما سبق بواسطة أفراد ولجان من رجال الكهنوت الذين تقصوا الحقيقة، وعاينوا بأنفسهم هذا الظهور وأثبتوا ذلك فى تقاريرهم التى رفعوها إلى قداسة البابا الأنبا كيرلس السادس.

والمقر البابوى إذ يصدر هذا البيان يقرر بملء الإيمان، وعظيم الفرح، وبالشكر الانسحاقى أمام العزة الإلهية أن السيدة العذراء أم النور قد والت ظهورها بأشكال واضحة ثابتة فى ليالٍ كثيرة مختلفة لفترات متفاوتة وصلت فى بعضها لأكثر من ساعتين دون انقطاع، وذلك ابتداء من مساء الثلاثاء ٢ أبريل سنة ١٩٦٨ الموافق ٢٤ برمهات ١٦٨٤ حتى الآن بكنيسة السيدة العذراء القبطية الأرثوذكسية بشارع طومانباى بحي الزيتون فى طريق المطرية بالقاهرة، وهو الطريق الثابت تاريخياً أن العائلة المقدسة قد اجتازته فى تنقلاتها خلال إقامتها بمصر.

جعل الله هذه البركة رمز سلام للعالم، ويمن لوطننا العزيز، وشعبنا المبارك الذى سبق الوحى الإلهى فنطق عنه: "مبارك شعبى مصر".

السبت ٤ مايو ١٩٦٨   المقر البابوى بالقاهرة

٢٦ برمودة سنة ١٦٨٤

هذا وقد أصبح هذا الظهور عيداً كنسياً، وأدرج فى السنكسار تحت يوم ٢٤ برمهات.

لقد كان هذا الحدث الإلهى العجيب يحمل عزاء خاصاً لقلب البابا المثقل بحمل صعب، ومسئوليات جسمية، فقبله بسنة تقريباً هبت على الكنيسة عاصفة صعبة من التجارب، محملة بمشكلات مستعصية، هزت بعنف ذلك الجسد الضعيف، فلزم البابا الفراش شهوراً يبكى فيها فراقه للمذبح، ومتوجعاً من طعنات المعاندين وكان الظهور ليطمئنه إلى أنه فى العمر بقية، وأن العذراء شفيعته العظيمة، وهى تقول له تشجع، ولا تيأس، فأنا أيضاً "قد جاز فى نفسى سيف، وأعلنت أفكار من قلوب كثيرة".

والبابا إزاء هذه المساندة الإلهية الفذة برؤيته للبتول أم النور، بدأ يستعد لاستقبال جسد حبيبه ناظر الإله مارمرقس الرسول.

عودة جسد القديس مرقس الرسول

لم يكن ما يفصل بين جسد القديس مرقس الرسول فى البندقية، وبين رأسه بالإسكندرية هو البحر المتوسط بمئات أمياله، إنما شئ آخر أعمق بكثير. إنها ما يزيد عن إحدى عشر قرناً من عمر الزمان، جعلت الفرقة بينهما حقيقة تاريخية أقرب إلى ظواهر الطبيعة، كشروق الشمس وهطول المطر... وكانت فى أقل القليل كفيلة بأن تجعل الأمر رازحاً تحت النسيان، لا يمكن أن يجذب انتباه أحد، ولا يمكن أن يحرك مشاعر إنسان.

وتوالى على الكرسى المرقسى بعد حادث سرقته، ونقله إلى البندقية، عشرات من الآباء البطاركة، لم يخطر ببال أى منهم أن يحاول استعادة الجسد .... حتى جاء البابا كيرلس السادس.

ألا يجب علينا إذاً أن نتوقف لنتساءل ... ما الذى دفعه إلى المطالبة باستعادة الجسد؟

* أهل هو إحساسه العميق بالارتباط بينه وبين مارمرقس باعتباره أنه ابن، وخليفة حقيقى لهذا الكاروز؟

* أم لأنه عاش تاريخ كنيسته وأمته، وتمثل هذا التاريخ فى كيانه، وأحس بفضل القديس مرقس على الأمة المصرية، وأنه نقلها ببشارة الإنجيل من ظلمة الوثنية إلى نور المسيح. وأن واجب الابن العارف بجميل أبيه أن يسعى وراء جسده أينما كان.

* أم أن هناك إعلان إلهى دفعه إلى أن يطالب بالجسد الحبيب، وهذا أمر يجب تصديقه، ما دام نداء البابا قوبل من الطرف الآخر باستجابة لم تكن متوقعة.

أليس هذا هو العمل الإلهى الخفى؟

فى إحدى مقابلاته مع القاصد الرسولى بالقاهرة، تساءل: "ألم يحن الوقت لكى تعطونا جسد القديس مرقس الرسول؟" أجاب سيادته بأدبه الجم: "نحن لا نستطيع أن نؤخر طلباً لقداسة البابا". فأجاب البابا: "شكراً... إنى سأرسل فى طلبه إلى قداسة بابا روما وأنى واثق من أن مساعينا ستكلل بالنجاح".

وعلى أثر هذا الحديث بدأت المفاوضات لإعادة الجسد الطاهر، فبعث البابا كيرلس برسالة إلى قداسة البابا بولس يطلب فيها إرجاع جسد القديس مرقس إلى مصر، فرحب بابا روما بذلك، وأرسل إلى بطريرك البندقية ـ حيث يوجد الجسد ـ يطلب موافقته، ولكنه رفض محتجاً بأنه لا يستطيع التفريط فى هذا الجسد الطاهر، فهو شفيع البندقية، فضلاً عن أنه من معالمها السياحية الهامة. ولكن بابا روما عاد يكرر الطلب، بينما بطريرك البندقية ظل متمسكاً برفضه إلى أن وافق فى النهاية ـ بعد صلوات البابا كيرلس ودموعه ـ على أن يعيد جزء من الجسد. ومع السرور والبهجة أعلن الخبر، واستعدت الكنيسة لاستقبال جسد أبيها الروحى مؤسس كرسى الإسكندرية.

أوفد البابا كيرلس وفداً مكوناً من خمسة وسبعين فرداً بينهم أساقفة وكهنة وشمامسة ورهبان وعلمانيين، مع وفد من الكنيسة الأثيوبية، أقلتهم جميعاً طائرة خاصة، وقد استقبل الوفد فى روما بحفاوة بالغة، وتم الاحتفال رسمياً يوم ٢٢ يونيو سنة ١٩٦٨ (١٥ بؤونة) بتسليم الجسد وسط فرحة غامرة.

واستقبل الوفد الطائرة عائداً مساء يوم ٢٤ يونيو سنة ١٩٦٨ حيث وصل إلى مطار القاهرة الدولى فى الساعة الحادية عشر والنصف ليلاً، وكان فى انتظار الجسد ما يزيد على المائة ألف مواطناً فضلاً عن أعضاء الوفود الأجنبية والهيئات الدينية والدولية والمصرية.

وتدخلت حكمة السماء فى ذلك اليوم لتظهر قدسية جسد هذا الرسول العظيم، فقد كان مقرراً أن تصل الطائرة فى الساعة الخامسة بعد الظهر،ولكنها أصبيب بعطب أخّر وصولها إلى الساعة الحادية عشر والنصف مساء، وعندما كانت تحلق فى سماء المطار استعداداً للهبوط، **ظهرت حمامة بيضاء حلقت على ارتفاع منخفض، شوهدت فى ظلام الليل**، فصاح الحاضرون مسبحين وممجدين الله بصوت يشبه الرعد، وعند هبوط الطائرة، ظهرت الحمامة

البيضاء مرة ثانية فوق جسم الطائرة التى كانت محركاتها مازالت تدور ويصدر عنها أزيز قوى.

وصعد البابا كيرلس سلم الطائرة، وحمل الجسد الطاهر وسط تهليل الجميع وهتافهم، فاهتزت أرجاء المطار. وعند ركوب قداسة البابا سيارته حاملاً الجسد على ركبتيه رأى البعض الحمامة البيضاء داخل السيارة بجوار الجسد الطاهر.

وقد أودع الجسد مكاناً خاصاً فى الكاتدرائية المرقسية القديمة بعد أن دار به البابا فى أنحائها مع الكهنة والشمامسة، وسط الترتيل والتسبيح حاملين الصلبان والشموع والبخور.

ويخبرنا السيد الدكتور يوسف منصور رئيس شمامسة الكاتدرائية أنه اعتاد دخولها زهاء خمس وعشرين عاماً فى أى ساعة خلال الليل لأداء صلوات تسبحة نصف الليل وباكر. ولكنه فى الليلة التى كان الجسد الطاهر موجوداً بها، فى حوالى التاسعة مساء، أراد الدخول شعر بهيبة ورهبة عظيمة تملأها فاعتراه خوف شديد، فتوقف فى مكانه، ثم أغلق الباب وخرج مسرعاً مبهوتاً.

كذلك شاهد السكان المحيطين بالكاتدرائيية نوراً عجيباً فوق قبابها ليلة وجود الجسد الطاهر بها قبل نقله إلى الكاتدرائية الجديدة.

كما أخبرنى أحد المقيمين بالمقر البابوى ـ رفض أن يذكر اسمه ـ أنه أثناء وجود الجسد الطاهر بالكاتدرائية القديمة رأى فى الساعة الثالثة والنصف صباحاً رؤية عجيبة ... رأى رجلاً تبدو عليه سمات النسك الشديد والبساطة المتناهية، يمشى رافعاً يده وممسكاً بكتاب، ويمشى خلفه البابا كيرلس السادس حاملاً الصليب وعصا الرعاية فى هيبة ووقار، ورأى خلفهما بعض من أبناء البابا. فتعجب من هذا المنظر وسأل أحد الموجودين: "من هذا الذى يسير أمام البابا العظيم، وكيف؟.." فأجابه ذاك بصوت جهورى اهتزت معه جدران الحجرة فى عنف: "ألست تعرف من هذا؟ ... إنه حامل البشارة العظيم".

وقد روى هذا الشخص ما حدث فى الرؤية لقداسة البابا، فقال له: "إنه مار مرقس يا ابنى اللى أنا بمشى وراه دائماً".

وفى ٢٦ يونيو ١٩٦٨ وبعد إقامة أول قداس بالكاتدرائية المرقسية الجديدة بالأنبا رويس أودع الجسد الطاهر فى مزاره الجميل بتلك الكاتدرائية حسبما ذكرنا فى الباب الخاص بها.

الفصل التاسع

البابا كيرلس
مع الزعيم جمال عبد الناصر



حديث الود والمحبة عند زيارة البابا كيرلس للرئيس جمال عبد الناصر فى بيته
إن الود والمحبة لا يبدوان في الحديث فقط ولا حتى في الابتسامة وحدها
بل زانتها اليدان المتشابكتان المعلنتان للترابط الوثيق بين القلوب

قطبان عظيمان أحدهما زعيم سياسى والآخر أب روحى... التقى الاثنان على طريق واحد، فسارا وأيديهما متشابكة وإرادتهما ورغبتهما واحدة: إسعاد كل فرد من أبناء هذا

الوطن. وكانت محبتهما لبعض .. وتقدير واحترام كل منهما للآخر مثار إعجاب .. حتى قالت: "إذاعة صوت أمريكا" يوم نياحة البابا: "لقد توفى الصديق الوفى لعبد الناصر"، وبدلاً من أن نقف عند الوصف، فلنقترب من الأحداث لنرى ما بينهما من حب، وتفاهم، كان لمصلحة البلاد.

جرى أول لقاء بينهما عام ١٩٥٩ إذا قام البابا كيرلس السادس بزيارة الرئيس عبد الناصر، وتبادلا أحاديث ودية. ويومها قال البابا للرئيس "إننا لو أقمنا مصنعاً بملايين الجنيهات وألحقنا به الآلاف من العمال الذين لا وعى لهم، ولا وازع دينى عندهم، فماذا نجنى؟ إنهم سيجهزون على المصنع. ولكن يا سيادة الرئيس لو أقمنا مصنعاً بمائتى جنيه وألحقنا به عشرة عمال يتمتعون بالضمير الحى الطاهر، مخلصين لله والوطن فإن إنتاج مثل هذا المصنع سيفوق بكثير إنتاج المصنع الأول الذى تكلف الكثير والكثير. لذلك يا سيادة الرئيس، إنى بعون الله سأعمل على تعليم أبنائى معرفة الله وحب الوطن، ومعنى الإخوة الحقة ليشب أبناء الوطن وحدة قوية لديها الإيمان بالله والحب للوطن". فأثنى السيد الرئيس على وطنية البابا، وحبه لبلاده، ودعى كل منهما للآخر بالتوفيق والنجاح.

فى ٨ مايو ١٩٦٥ ، وكانت الزيارة الثانية للبابا كيرلس، وكان لقاءاً مثمراً له آثاره العظيمة. لقد ذهب الوفد المرافق للبابا، وهو يحمل مشكلة أو مشاكل معينة، ولكن أحداً لم يكن يعرف أفكار البابا، ولا يتوقع أيضاً النتائج الباهرة التى أسفر عنها هذا اللقاء:

ـ الرئيس : لا تفكر فى هذا الأمر يا والدى، إن تلك الكنيسة ستبنى.

ـ البابا: أشكركم يا سيادة الرئيس...

ثم استطرد قائلاً:

ـ إن الأمر الأهم بالنسبة لنا أن تتفضلوا مرة بزيارة أولادكم فى البطريركية، فسيكون لهذه الزيارة أبلغ الأثر، وسترفع من الروح المعنوية لأولادك.

ـ ليس لدى مانع... ولكن يا والدى ألا ترى أن المكان الذى أنت فيه الآن قد أصبح غير لائق بك.

ـ نعم يا سيادة الرئيس ... إننا نفكر فى بناء مقر آخر ... كاتدرائية جديدة.

ـ يسعدنى أن أحضر احتفال وضع حجر الأساس، ولكن هل لديكم ما يكفى لهذا البناء الضخم.

ـ إن الله سيعيننا، كما أن أولادنا لا يبخلون بالمال فى سبيل إنجاز عمل عظيم كهذا...

ـ ستدفع الدولة مبلغ مائة ألف جنيه مساهمة فى هذا البناء العظيم..

ـ أشكركم يا سيادة الرئيس. على أن مساندتكم المعنوية لا تقدر بمال.

ثم عادا إلى موضوع حديثهما الأول:

ـ لقد أطلعت على تقارير شاملة عن هذا الموضوع.

ـ إنى حاولت ـ سيادة الرئيس ـ بكل جهدى أن أجد حلاً لهذه المشاكل دون جدوى.

ـ يبين من التقرير الذى أطلعت عليه أنك يا والدى قد عملت ما فى وسعك... وأن هذا الشخص سبب لكم متاعب كثيرة، وسأتخذ قراراً بإقصائه عن منصبه.

كما كان من نتائج هذا الاجتماع أن أمر الرئيس بفتح كنيسة حدائق حلوان التى ظلت مغلقة ما يقرب من عام، وقال الرئيس: إن أماكن العبادة لابد أن تنتشر. ويجب أن يعرف الجميع الله. وأن الإيمان يجب أن يمس كل القلوب.

ونقل السيد الرئيس رغبة أسرته فى مقابلة البابا، فرحب بذلك، ودخل قداسته بصحبة الرئيس إلى منزله حيث تقابل مع أبناء سيادته ودعا لهم بالتوفيق، وبدوام الصحة والسعادة، كما تبادل معهم الهدايا التذكارية. وبعد ذلك خرج مودعاً من السيد الرئيس بحفاوة بالغة.

* فى ١٠ مايو عام ١٩٦٧ ـ زار قداسته السيد الرئيس. وفى هذه الزيارة رأى سيادته إصدار قرار جمهورى بإنشاء مجلس لإدارة أوقاف البطريركية، بعد أن فشل المجلس الملى فى أداء هذا العمل، مما أدى إلى عجز فى ميزانية البطريركية تحدثت عنه الصحف. وقد تبرع السيد الرئيس بمبلغ عشرة آلاف جنيه لسد هذا العجز، وأمكن بذلك دفع مرتبات العاملين بالبطريركية التى توقف دفعها لعدة شهور.

كما عرض الأساقفة المرافقون لقداسته مشاكل إيبارشياتهم على السيد الرئيس، وكانت هذه فرصة للعمل على حلها.

ومما هو جدير بالذكر أن قداسة البابا طلب مرتين السماح بإنهاء الزيارة حفظاً على وقت الرئيس،ولكن سيادته كان يقول مبتسماً فى ودٍ عميق "ميعاد الزيارة لم ينته بعد" وظلا يتحدثان فيما يعود بالخير على البلاد.

وعندما همّ البابا بالانصراف قال السيد الرئيس "إنى أضم صوتى لأصوات المهنئين بعيد جلوس غبطتكم متمنياً لكم أياماً سعيدة". فشكره البابا بامتنان كبير واضعاً يده على صدر الرئيس فى لطف وهو يقول: "إنى أضع يدى على يد الله.. لأنه مكتوب عندنا "إن يد الله على قلوب الرؤساء"" فاغتبط الرئيس، وسر بهذا الحديث كثيراً.

وفى مساء نفس اليوم حضر أحد رجال الدولة الرسميين إلى قداسة البابا حيث أبلغه شعور الارتياح الذى يشعر به الرئيس لهذه الزيارة، كما أشار إلى أن الرئيس كان يحس بآلام فى صدره زالت جميعها عندما وضع البابا يده فوق صدره.

* فى ٨ يونيو ١٩٦٧ أعلن السيد الرئيس جمال عبد الناصر تنحيه عن رئاسة الجمهورية إثر نكسة ٥ يونيو المشئومة. وقد كان لهذا الخبر وقع بالغ السوء فى نفس قداسة البابا. فاستدعى سكرتيره الخاص وطلب الاستعداد للذهاب إلى منزل السيد الرئيس فى صبيحة الغد ليناشده بالبقاء رئيساً للجمهورية. وليبلغه تمسك الأقباط بسيادته فى مركز القائد والزعيم للبلاد.. وفى يوم ٩ يونيو صلى البابا القداس وهو حزين، وبعده خرج وبصحبته بعض الآباء المطارنة والأساقفة والكهنة، وتوجهوا إلى منزل الرئيس، ولكن ملايين البشر كانت تسد كل الطرق المؤدية إلى المنزل، فصدرت تعليمات من رئاسة الجمهورية بأن تقوم سيارة تابعة للقوات المسلحة بفتح الطريق أمام البابا حتى وصل إلى منزل الرئيس حيث كان فى استقبالهم السيد/ محمد أحمد سكرتير السيد الرئيس "أمين سر اتحاد الجمهوريات العربية وقتها". وكان عناق بالبكاء . وأعلن البابا تمسكه والأقباط معه بقيادة الزعيم عبد الناصر. وقد وعد سيادته بإبلاغ ذلك إلى السيد الرئيس، ومعتذراً عن عدم إمكان مقابلته، لأنه قد لزم مسكنه الخاص بعد إعلان تنحيه.. ولكن ما عاد البابا إلى المقر البابوى حتى طلب من الخدم أن يستعدوا لضرب الأجراس، وكأنه كان يتنبأ .. وما هى إلا لحظات حتى أعلن السيد/ أنور السادات "رئيس مجلس الأمة وقتئذ"، أن الرئيس قد نزل على إرادة الشعب، واستجاب لندائه المُلح بالبقاء، ودقت أجراس الكاتدرائية المرقسية فرحة مستبشرة. وفى صباح يوم ١٠ يونيو توجه قداسة البابا إلى القصر الجمهورى حيث كتب كلمة مؤثرة فى سجل الزيارات معلناً فرحته لاستجابة لنداء الشعب.

* حضر الزعيم جمال عبد الناصر حفل افتتاح الكاتدرائية الجديدة الذى أقيم يوم ٢٥ يونيو سنة ١٩٦٨ وكان اللقاء بين القائدين حاراً وفريداً.

فعند صعودهما سلم الكاتدرائية لإزاحة الستار عن اللوحة التذكارية حدث أن أمسك السيد الرئيس بيد البابا متوكئاً، وصدرت عنه أنة خفيفة فسأله البابا فى دهشة: "مابالك يا سيادة الرئيس.. ولمَ تتألم .. لعلنى أنا الذى يحق لى أن أتأوه، إذ ما زات أشعر بألم فى ساقى أثر الجلطة التى أصابتنى فى العام الماضى" فأجابه الرئيس قائلاً: "إنى أشعر بآلام شديدة فى ساقى أنا أيضاً". فقال البابا: "ولماذا لم تخبرنا بذلك إننا كنا على أتم استعداد لتأجيل الحفل حتى تتماثل سيادتكم للشفاء الكامل"، فأجاب الرئيس بابتسامة رقيقة: "لا ..... بل أنا مسرور هكذا".

* لما ذهب السيد الرئيس للعلاج من مرض أصاب أوردة ساقه فى "تسخالطوبو" بالاتحاد السوفيتى، اتصل به البابا تليفونياً ليطمئن على صحته.. وجرى بينهما حديث ودى للغاية، وقال الرئيس فى حديثه للبابا أنه كان ينبغى أن يكون بصحبته لعلاج أوردة ساقه أيضاً، فشكره البابا بامتنان داعياً له بالصحة، راجياً له الشفاء العاجل، مبلغاً إياه دعائه من أجل عودته للوطن موفور الصحة.

وعاد الرئيس بعد ذلك بيومين، وكان البابا ضمن مستقبليه فى أرض المطار. وتعانقا طويلاً بصورة لفتت أنظار الموجودين، وقال الرئيس للبابا: "لماذا لم ترسل مندوباً عن غبطتكم وأنت لم تتماثل بعد للشفاء التام؟".... واطمأن البابا على صحة الرئيس.

وعندما فجعت الأمة بفقد زعيمها الخالد جمال عبد الناصر، توجه البابا للعزاء، وظل صامتاً مدة طويلة، وهو فى صمته يقول: إن المصاب مصابنا جميعاً والفقيد فقيدنا جميعاً.

لقد رحل الرجلان عنا فى فترة وجيزة .. لقد تركا فى قلوبنا جرحاً عميقاً. وفى نفوسنا حزناً شديداً ... وسيذكر التاريخ أنهما ضحيا بكل شئ فى سبيل رسالتهما ... حتى بحياتهما.

الفصل العاشر

البابا كيرلس وأثيوبيا



البابا كيرلس في مواجهة أحد الأسود بحديقة القصر الإمبراطورى خلال زيارة قداسته الأولى لأثيوبيا في أكتوبر/ نوفمبر ١٩٦٠

أثيوبيا جزء غالٍ وحبيب فى الكرازة المرقسية. دخلتها المسيحية فى القرن الرابع الميلادى على يد القديس المصرى فرومنتيوس خلال حبرية البابا أثناسيوس الرسولى. وظلت علاقتها وطيدة بالكرسى المرقسى منذ ذلك الوقت. كما أن الكنيسة القبطية موضع احترام وتقديس الأثيوبيين حكام ورعية.

ولكن عدو الخير لا يهدأ، يريد أن يمزق الجسد الواحد، ومع ازدياد نزعات الاستقلال الوطنى فى العالم أجمع، ومع دسائس الاستعمار،ومع الضعف الذى أصاب الكنيسة القبطية فى سنيها الأخيرة التى سبقت مجئ البابا كيرلس السادس، أصاب الوهن العلاقة بين الكنيستين بحيث أصبحت مهددة بالانفصام، حتى أنه كان من المحتمل ألا يصل وفد أثيوبى لحضور حفل رسامة البابا كيرلس السادس. وعلى ذلك كان من الأعمال الهامة التى اضطلع بها قداسته فى بداية حبريته هو العمل على إيجاد صيغة جديدة للعلاقة بين الكنيستين القبطية والأثيوبية، وهو الأمر الذى كان يحتاج إلى كثير من الحكمة والمرونة.

وقد أرسل قداسته رسالة ـ بعد ظهور القرعة الهيكلية وقبل الرسامة ـ إلى جلالة الإمبراطور هيلاسلاسى قال فيها: "..... أبعث بهذه الرسالة إلى جلالتكم بعد أن شاءت نعمة

الله واختارت ضعفى لهذا المنصب الخطير، لأنه "لا يأخذ هذه الكرامة إلا المدعو من الله كما هرون أيضاً" (عب ٥ : ٤).

وأنى أشعر بدعوة الله وبجسامة المسئوليات التى تتطلبها رعاية النفوس أثق أن الذى دعانى هو القادر أن يعيننى على توجيه سفينة كنيسته إلى ميناء الخلاص، ويهمنى أكثر ما يهمنى أن تقوم هذه الخدمة المقدسة على الأسس المسيحية القوية من محبة وإخلاص وسلام.

ويسرنى أن أعبر لجلالتكم عما يكنه قلبى من حب وافر وتقدير عظيم لشعبنا الأثيوبى العزيز، ولكنيسة مارمرقس ببلادكم المباركة. ولاشك أنه متى سرت روح المحبة المسيحية الحقيقية والفهم والتقدير المتبادل، فإنه يمكن تذليل كل الصعوبات، والوصول إلى حلول مرضية، وبدء عهد جديد يساعد على توطيد هذه الرابطة المقدسة التى طالما حاميتم عنها جلالتكم، وسهرتم على صيانتها وتوطيدها طوال حياتكم.

فكل هدفنا هو تحقيق رسالة السيد المسيح فى كنيسته وخلاص نفوس الشعب ورفعة الكنيسة، وفى سبيل ذلك تستطيع المحبة أن تعمل كل شئ وتتغلب على الصعاب بسلام. إن إحتياجات الكنيسة الأثيوبية العزيزة ستكون من أول ما سنبحثه فى المجمع المقدس إن شاء الله بعين الرعاية والتقدير بعد الرسامة، وإنى واثق أن إخوتى الآباء المطارنة والأساقفة فى الإقليم المصرى، يقدرون معى هذه الاحتياجات التى سنقابلها بنعمة الرب، بنفس روح المحبة لتقوية كنيسة القديس مرقس.

ومما يزيد ابتهاجى أن يشترك إخوتى ليقانا باباسات (مطران) وأساقفة أثيوبيا فى وضع أيديهم على رأس بابا الإسكندرية فى صلاة الرسامة لأول مرة فى تاريخ كنيستنا، مما سيزيدنى شعوراً بعمق هذه الرابطة وقوتها. كذلك يسرنى أن توفدوا جلالتكم مندوبين عن شخصكم العزيز، وكذلك ليقانا باباسات وأساقفة أثيوبيا حتى يشتركوا فى هذه المناسبة التاريخية يوم الأحد ١٠ مايو سنة ١٩٥٩ .

وإنى أتطلع بعين الفرح إلى ذلك اليوم الذى ألتقى فيه بجلالتكم فى أثيوبيا العزيزة، وفى الأقليم المصرى أيضاً حتى يتم سرورنا الروحى فى الرب...

ثم عاد قداسة البابا فى ١٦ مايو ١٩٥٩ ـ أى بعد الرسامة ـ وأرسل رسالة أخرى إلى جلالة الإمبراطور، قال فيها: "... لقد تأثرنا بالغ التأثر، وقدرنا شعور الألم الذى عبرتم عنه جلالتكم فى رسالتكم الشفهية لعدم تمكنكم من الاشتراك فى حفل الرسامة.

ونحن نضرع إلى الله أن تحل نعمة روحه القدوس فترد إلى الكنيسة سلامها وطمأنينتها بروح المحبة المخلصة والتسامح التى ضمناها فى رسالتنا السابقة "... أنسى ما هو وراء وامتد إلى ما هو قدام" (فيلبى ٣ : ١٣) ضارعين إلى الله أن يجعل هذه الروح تسود على الكنيسة، والعالم أجمع حتى يعم السلام والرخاء.

ونحن نقدر ونشكر للعواطف النبيلة التى أبديتموها جلالتكم نحو شخصنا الضعيف، فبهذه الروح سنتعاون جميعاً على تحقيق مقاصد السيد المسيح المقدسة فى حياتنا. إن الاحتياجات الروحية والاجتماعية المتزايدة لشعب الله فى هذه الأيام ومسئوليات الكنيسة نحوها تتضاعف يوماً بعد آخر مما يتطلب العناية بتنظيم أعمال الكنيسة الرعوية والإدارية بالطريقة التى تمكنها من تأدية رسالتها، وتحقيق مسئولياتها على الوجه الذى يريح ضميرنا أمام الله عن جسامة هذه المخدومة منا (٢ كو ٨ : ٢٠).

وسيشمل هذا التنظيم بنعمة الله جميع أقاليم الكرازة المرقسية التى يتسع عمل الرب فيها بشكل ملحوظ.

ولشعورنا بازدياد التبعات الملقاة على **كنيسة مارمرقس فى أثيوبيا** فى نهضتها الحديثة، بفضل جلالتكم واهتمامكم، يسرنا أن يكون رفع مركز رئيس كنيسة مارمرقس بأثيوبيا موضع عنايتنا بصفة خاصة، مع تنظيم سلطاته فى الرسامات بما يرشدنا إليه الروح القدس، ونحن نثق أن الرب سيرشدنا إلى ما هو فيه خير الجميع، حسب وعده الصادق، "لأنه حينما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فهناك أكون فى وسطهم" (متى ١٨ : ٣٠).

لذا يسرنا أن نوفد إليكم إخوتنا الآباء المطارنة.. لتأكيد مشاعرنا السابق التعبير عنها، ولدعوة من يقع عليه اختيار جلالتكم من أبناء الكنيسة للحضور إلينا، والاشتراك فى دراسة هذا التنظيم، ورسم حدوده ومسئولياته تحت قيادتنا الشخصية، حتى تحقق الكنيسة رسالتها لمجد الله وخلاص النفوس.

ولا يفوتنا أن نعبر لجلالتكم عن ازدياد سرورنا حينما سمعنا نبأ قرب تشريفكم للأقليم المصرى، الأمر الذى ابتهج له الجميع لشوقهم إلى شخصكم المحبوب وأثيوبيا العزيزة".

وبناء على اقتراح البابا، حضر إلى القاهرة وفد أثيوبى. وبدأت المفاوضات التى مثل الكنيسة القبطية فيها: نيافة الأنبا لوكاس مطران منفلوط المتنيح، والأنبا يؤانس مطران الخرطوم

المتنيح والأنبا باسيليوس مطران القدس، والمهندس يوسف سعد والسادة السفراء عدلى أندراوس، وديمترى رزق والأستاذ دكتور مراد كامل، وسكرتارية القمص مكارى السريانى (نيافة الأنبا صموئيل أسقف الخدمات).

وانتهت المفاوضات إلى اتفاقية أقرها المجمع المقدس، وتم توقيعها فى ٢٥ يونيو ١٩٥٩. والملاحظ أن قداسة البابا كان يدرس مع وفد المفاوضات المصرى كل نص من نصوص الاتفاقية دراسة مستفيضة.

وفيما يلى نص الاتفاقية:

١ ـ بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية خليفة القديس مارمرقس الإنجيلى، وهو الأب الروحى الأعلى لكنيسة القديس مرقس بأثيوبيا، ويجب أن يكون على الدوام قبطياً مصرياً من والدين مصريين، ومقره الدائم كرسى الإسكندرية فى الأقليم المصرى وسلطانه مصون وشخصه فوق أى تجريح.

ويذكر اسم بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية فى كافة القداسات والصلوات بأثيوبيا، وتكون زيارة قداسة بابا الإسكندرية لأثيوبيا موضع الترحيب ويقابل قداسته بجميع مظاهر التكريم والتبجيل الجديرة بمركزه السامى باعتباره الأول فى الكنيسة.

٢ ـ يشترك ممثلون عن أثيوبيا بعدد محدود مع الناخبين المصريين فى انتخاب خليفة القديس مرقس ويحدد عددهم قداسة البابا.

٣ ـ يجب أن يكون قائمقام الكرازة المرقسية على الدوام قبطياً مصرياً من والدين مصريين.

٤ ـ يرفع مركز مطران (ليقانا باباسات) الكنيسة الارثوذكسية للدولة الأثيوبية، وهو خليفة القديس تكلاهيمانوت إلى بطريرك جاثليق (رئيساً لقانا بابا سات) ويختار وفقاً لقوانين وتقاليد كرسى القديس مرقس بالإسكندرية من بين الرهبان الأثيوبيين الذين لا تعلو مرتبتهم عن درجة القمص، (وهو المبدأ المعمول بها أيضاً فى سائر الكرازة المرقسية) على أنه نظراً لظروف خاصة يستثنى فى هذه المرة فقط رفع درجة مطران أثيوبيا الحالى الأنبا باسيليوس إلى بطريرك جاثليق.

٥ ـ عندما يتم اختيار بطريرك جاثليق أثيوبيا وفقاً لقانون الكنيسة، وعندما يعتمد هذا الاختيار ويصدق عليه من صاحب الجلالة الإمبراطور ، تجرى سيامته وتنصيبه وفقاً لقانون الكنيسة على يد البابا البطريرك الجالس على الكرسى السكندرى للقديس مرقس.

٦ ـ يؤذن لبطريرك جاثليق أثيوبيا بسيامة مطارنة وأساقفة على الأمكنة التى تستلزمها حاجة كنيسة أثيوبيا، على أنه يجب أساساً قبل سيامتهم أن يقطع المطارنة والأساقفة المنتخبون على أنفسهم العهد الكتابى الملحق بهذا ويرسل هذا العهد الموقع منهم إلى بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية فوراً بعد اعتماد انتخابهم من جلالة امبراطور أثيوبيا.

٧ ـ ولكى يعتمد البابا تسجيلهم رسمياً، يرسل البطريرك جاثليق أثيوبيا مع هذا العهد الموقع منهم تاريخ حياة المطارنة والأساقفة والبيانات الخاصة بهم وبإيبارشياتهم ويأمر البابا بإرسال تاريخ حياة مطارنة وأساقفة الكرازة المرقسية مع ذكر إيبارشياتهم إلى جميع أقاليم الكرازة.

٨ ـ كلما رأى البابا أن يعقد اجتماعاً لمعالجة المواضيع المتعلقة بالعقيدة أو الأمور التى تمس عموم كرازة القديس مرقس يحيط بطريرك جاثليق أثيوبيا علماً بذلك، ويؤلف قداسته مجمعاً مقدساً عاماً من بين مطارنة وأساقفة المجمع المقدس المصرى وسائر المجامع المقدسة الأقليمية بالكرازة المرقسية للفصل فى هذه المسائل.

وكلما أثير أمر يمس شخصية بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية أو ينال من قداسته، يختص هذا المجمع المقدس أيضاً بالفصل فى ذلك.

٩ ـ يحتل بطريرك جاثليق أثيوبيا فى أثناء حياة بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية المركز الثانى فى المنزلة بعد البابا، وفى حالة غياب البابا يحتل بطريرك جاثليق أثيوبيا المركز الثانى فى المنزلة بعد قائمقام الكرازة المرقسية.

١٠ ـ يعين بابا الكرازة المرقسية ممثلاً كنسياً مصرياً فى أثيوبيا وممثلاً كنسياً أثيوبياً فى مصر لتسهيل العلاقات بين نواحى الكرازة المرقسية فى مصر وأثيوبيا.

١١ ـ توثيقاً لدوام الصلات الروحية القائمة بين كنيسة مصر وكنيسة أثيوبيا سيجرى فى مجال التعليم الدينى تبادل فى الأساتذة والطلبة وبالمثل فيما يخص حياة الرهبنة سيجرى تبادل الرهبان.

١٢ ـ تخضع الأمور الآتية لمشاورات متصلة بين قداسة البابا وبطريرك جاثليق أثيوبيا.

أ ـ تقرير إنشاء إيبارشيات جديدة للكرازة المرقسية خارج الأقاليم القائمة حالياً التى ستظل لشاغليها وسيامة مطارنة وأساقفة لتلك الايبارشيات الجديدة كلما أثير هذا الأمر من جانب بطريرك جاثليق أثيوبيا.

ب ـ إنشاء لجان خاصة لدراسة الشئون المتصلة بالنهضة الروحية والدراسات الدينية وتنظيم البعثات.

وألحق بهذه الشروط نص العهد الذى يتعهد به المطارنة والأساقفة الأثيوبيين عند سيامتهم وهو كما يلى:

"أتعهد أنا .... بأن أظل أميناً لعقيدتى وإيمانى القبطى الأرثوذكسى، إيمان كنيسة الإسكندرية وكرسى القديس مرقس الإنجيلى. وأتعهد أن احترم قوانين كنيستنا التى انتقلت إلينا من الرسل وخلفائهم القديسين الثلثمائة والثمانية عشر المجتمعين بنيقيا وآباء الكنيسة وأن أجل بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية خليفة القديس مرقس وأن اعتبره بابانا.

وقد عاهدت نفسى ألا اشترك فى سيامة بطريرك أثيوبيا أو أى بطريرك آخر دون موافقة واعتماد قداسة بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية، وأعد أن أظل وفياً لعهدى أمام الله والكنيسة.

وتعتبر هذه الاتفاقية من الأعمال الخالدة التى أنجزها قداسة البابا بمعونة السماء، ووثيقة هامة فى تاريخ العلاقة بين الكنيستين، فحفظتها قوية ومتينة، واغتبط لها الشعب الأثيوبى.

وقد تم رفع درجة الأنبا باسيليوس (المتنيح) من درجة مطران أثيوبيا إلى بطريرك جاثليق، وذلك فى يوم ٢٨ يونيه ١٩٥٩ ، فى حفل أقيم بالكاتدرائية المرقسية بالقاهرة، أذيع على الهواء، وقد حضره جلالة الامبراطور هيلاسلاسى.

زيارات البابا لأثيوبيا

لم يزر أثيوبيا عدد يذكر من بابوات الإسكندرية. **فالزيارة الأولى** قام بها البابا ميخائيل أبان حكم الخليفة المستنصر بالله. **والزيارة الثانية** فى عهد البابا كيرلس الرابع. ولم تكن هاتان الزيارتان بغرض رعوى، بل لحل مشاكل سياسية بين مصر وأثيوبيا.

وقد قام الأنبا يؤانس سنة ١٩٣٠ **بزيارة ثالثة** تعتبر الزيارة الرعوية الأولى. وجاءت زيارة البابا كيرلس السادس لتكون هى الزيارة الرعوية الثانية، ثم عاد وزارها مرة أخرى لرئاسة مؤتمر الكنائس الشرقية الأرثوذكسية، فكان بذلك أول بطريرك يزور أثيوبيا مرتين.

الزيارة الأولى:

سافر قداسته إلى أثيوبيا فى فجر يوم الأربعاء ٢٦أكتوبر سنة ١٩٦٠ وقد أمضى الساعات السابقة لسفره فى صلاة بدأت فى التاسعة مساء. واستمرت حتى منتصف الليل، واشترك فيها بعض المطارنة ورجال الأكليروس والشعب. وبعدها صاحبته الجموع إلى المطار، وودعته وداعاً حاراً. ووصل قداسته أديس أبابا عند الظهر، واستقبل فى المطار استقبالاً رسمياً كرؤساء الدول. وكان على رأس المستقبلين جلالة الامبراطور هيلاسلاسى، وأعضاء الأسرة الإمبراطورة، والبطريرك الجاثليق، ورئيس الوزراء، والوزراء والأساقفة، وحكام المقاطعات. وأطلقت المدافع ٢١ طلقة ثم توجه البابا إلى كاتدرائية الثالوث الأقدس، حيث أقام صلاة الشكر، وفى المساء حضر حفل استقبال كبير فى القصر الإمبراطورى. ثم قام برفع بخور عشية بكنيسة العذراء الخاصة بالدار البطريركية.

وفى **يوم الخميس** دشن كنيسة رئيس الشمامسة اسطفانوس، وطاف حولها بصحبة الإمبراطور ثلاث مرات فى موكب دينى جميل. ثم زار بعد ذلك كنيسة العذراء الطاهرة بجبل "أنطونو" وفى المساء أقام قداسته صلاة رفع بخور عشية بكنيسة "ملص آلم" أى (مخلص العالم).

وفى **يوم الجمعة** زار كنيسة "أديس ألم" أى العالم الجديد، وهى كنيسة ذات شهرة دينية، وتاريخية فى أثيوبيا. وبعد الظهر زار كلية الثالوث الأقدس اللاهوتية بأديس أبابا، وقد ألقى مديرها "الأسقف بولاديان الأرمنى الأرثوذكسى" كلمة ترحيب بقداسة البابا. وفى المساء قام برفع بخور عشية بالكنيسة التى يوجد بها ضريح الإمبراطور منليك الثانى.

وفى **يوم السبت** صلى قداسته القداس حسب عادته كل صباح - فى كنيسة مخلص العالم. ثم توجه إلى دير "ليبانوس" أشهر دير أثيوبى لوجود قبر القديس تكلا هيمانوت به، وهو يبعد عن العاصمة بمسافة تزيد عن الساعتين بالسيارات. وبعد ذلك توجه إلى كنيسة "تسجى مريم".

وفى **صباح الأحد** قدم الذبيحة الإلهية بكاتدرائية العذراء مريم بالبطريركية بأديس أبابا. وتناول الإفطار بعد ذلك على مائدة الأنبا باسيليوس البطريرك الجاثليق. وفى المساء قام برفع بخور عشية فى كنيسة قصر رئيس مجلس الشيوخ.

وفى **فجر يوم الاثنين** أقام قداسته قداساً فى كنيسة مارمرقس الملحقة بالقصر الإمبراطورى حضره الإمبراطور وأفراد أسرته، وتناولوا من الأسرار المقدسة. وعلى متن طائرة من سلاح الطيران الأثيوبى سافر قداسته إلى منطقة "لابيلا" ذات الشهرة العالمية لكنائسها الاثنى عشر المنحوتة فى الجبل من القرن الثانى عشر. وقد استغرقت الرحلة ستة ساعات: ثلاث منها بالطائرة، ومثلها بالسيارات فى طرق جبلية وعرة.

وبدأ قداسته **يوم الثلاثاء** بصلاة القداس فى كنيسة "مخلص العالم"، وزار مستشفى القديس بولس وتفقد مرضاه جميعاً. ثم زار مدرسة تدريب الشرطة، ومدرسة القديس بولس اللاهوتية، وأقام صلاة رفع بخور عشية فى كنيسة رئيس الملائكة جبرائيل.

أما **الأربعاء** ثامن أيام الرحلة، فقد وافق الاحتفال بالعيد الثلاثين لتتويج جلالة الإمبراطور. فتوجه البابا إلى كنيسة القديس جورجيوس لابساً الملابس الكهنوتية الأثيوبية، وخرجت العاصمة كلها لتحيته واستقباله. وعندما وصل جلالة الإمبراطور إلى الكنيسة استقبله البابا عند الباب، وعانقه، وتأبط ذراعه إل داخل الكنيسة.

وبعد ذلك توجه قداسته إلى البرلمان الأثيوبى، ومن المقصورة الإمبراطورية الكبرى تابع مراسيم افتتاح الدورة البرلمانية. ثم عاد إلى كنيسة القديس جورجيوس وأقام القداس الإلهى الذى انتهى فى الثالثة بعد الظهر، إذ كان اليوم أربعاء.وفى مساء ذات اليوم أقام الإمبراطور حفلاً لتوديع قداسته راجياً منه أن يكرر هذه الزيارة الرعوية. كما حضر الحفل الذى أقامه لنفس الغرض الأنبا باسيليوس البطريرك الجاثليق بالبطريركية وقام البابا برفع بخور عشية فى كنيسة الملاك روفائيل.

وفى **اليوم التاسع** للرحلة صلى قداسته القداس فى كاتدرائية الثالوث الأقدس فى أديس أبابا. ثم استقل ومرافقوه وأعضاء بعثة الشرف طائرة خاصة إلى منطقة جوندار. وعند بحيرة تانا منبع النيل الأزرق هبطت الطائرة إلى ارتفاع منخفض وباركها قداسته. ولما وصلت الطائرة إلى مطار جوندار كان فى استقباله حاكم المقاطعة والكهنة والشعب.وبعد أن قضى بعض الوقت هناك سافر إلى أقليم ارتيريا، وتفقد أبناءه هناك.

وبذلك انتهت الرحلة الرعوية الأولى لأثيوبيا. وكان فيها موضع ترحيب واحترام من الجميع فقد أقيم لقداسته خلالها العديد من حفلات الاستقبال والتكريم. **وكان أول باباوات الإسكندرية الذى يزور أقاليم أثيوبية خارج أديس أبابا. ثم عاد قداسته والوفد المرافق له إلى القاهرة مساء يوم الاثنين ٧/ ١١/ ١٩٦٠ واستقبل فى المطار استقبالاً شعبياً كبيراً.**

الزيارة الثانية:

فى عام ١٩٦٥ سافر قداسته إلى أثيوبيا ليرأس المؤتمر التاريخى لرؤساء الكنائس الأرثوذكسية (غير الخلقيدونية). وقد رفض جلالة الإمبراطور أن يعقد المؤتمر فى غيبة البابا كيرلس، وتفصيل ذلك أنه فى خريف عام ١٩٦٤ وجه الإمبراطور الدعوة للبابا لرئاسة هذا المؤتمر فأناب عنه بعض أصحاب النيافة المطارنة. ولكن ما كاد أن يذاع ذلك فى أثيوبيا حتى قرر الإمبراطور أرجاء انعقاد المؤتمر إلى أن يحضر قداسته.

وتمت الاتصالات اللاسلكية في غير المواعيد المقررة لها بين أديس أبابا والقاهرة، ففتحت مكاتب هيئة المواصلات السلكية واللاسلكية، واستدعى الموظفون الفنيون على وجه السرعة، وفى لحظات كان نيافة الأنبا أثناسيوس أسقف بنى سويف يتصل من أثيوبيا بالمقر البابوى بالقاهرة.

كما اتصل السيد المصرى من هناك بوزارة الخارجية بالقاهرة. ثم حضر على متن طائرة أثيوبية مبعوثاً خاصاً من قبل الامبراطور هو السيد/ قرياقص بسادة ـ رجل الأعمال المعروف فى أثيوبيا ـ يحمل رسالة شخصية من جلالته إلى البابا يكرر فيها الرجاء بالحضور، وكان حديث السيد/ قرياقص ممزوجاً بالدموع.

وكما جرت الاتصالات على هذا النحو السريع والمفاجئ، تم السفر كذلك، فقد غادر البابا دير مارمينا بمريوط إلى الإسكندرية ظهر الخميس ١٤ يناير ١٩٦٥، ووصل القاهرة صباح الجمعة، واستقل الطائرة الأثيوبية الخاصة بعد منتصف الليل إلى أديس أبابا. وعند سلم الطائرة تعانق قداسة البابا والامبراطور، وأطلقت المدافع ٢١ طلقة. كما سمعت الزغاريد المصرية، وأغرورقت عيون المستقبلين بدموع الفرح، بل بلغ التأثر ببعضهم أن أجهشوا بالبكاء بصوت مسموع.

وفى أثناء وجود البابا هناك، قام بافتتاح كاتدرائية القديسة العذراء مريم بعد ترميمها، كما رأس الاحتفال بعيد الغطاس، وعيد الملائكة الجليل ميخائيل.

وسنعود إلى الحديث عن أعمال هذا المؤتمر فى فصل آخر.

مع الإمبراطور هيلاسلاسى الأول:

ما أشد سعادة الأب عندما يلتقى بابن حبيب.وما أكثر فرحة الابن حينما يرى أباه الحنون... وهكذا كان يتم دوماً لقاء البابا كيرلس بالإمبراطور هيلاسلاسى الأول الذى زار مصر سبع مرات خلال حبرية البابا كيرلس، وفى كل مرة كان يحرص على حضور القداسات والصلوات بالكاتدرائية..

وفى كل زيارة للقاهرة كان يجد دائماً فى استقباله وفداً من الآباء المطارنة والأساقفة. وذات مرة قال البابا لجلالته: أنه كان يود أن يستقبله فى المطار لولا توعك صحته، فصاح جلالته على الفور باللغة العربية قائلاً: "مش ممكن...مش ممكن" وعاد ليكمل حديثه بالأمهرية: "إن الأب لا يذهب لاستقبال ابنه، بل الابن يأتى لأخذ البركة"، فرد البابا بقوله: "إن الأب يفرح بقدوم ابنه ويهل لاستقباله عند ملامسته أرض الوطن".

وفى عام ١٩٦٦ حضر الإمبراطور إلى القاهرة. واتسمت زيارته للبابا بالود العميق. ثم قام قداسته برد الزيارة فى قصر الضيافة بالقاهرة، حيث كان ينزل جلالته. وقد تبرع بمبلغ أربعون ألف دولار(ستة عشرة آلاف جنيه) مساهمة منه فى مشاريع الكنيسة، وقال البابا لجلالته أنه سيخصص مبلغ ثلاثة آلاف جنيه لمشروعات دير مارمينا والباقى سيستخدم فى بناء الكاتدرائية الجديدة، فرد جلالته بأن المبلغ كله فى يد الوالد والأب العظيم للكنيسة كلها.

وتصادف أن كان ذلك اليوم موافقاً للاحتفال بالعيد السابع لحبرية البابا، فربت جلالة الإمبراطور على يد البابا وقال بالغة العربية: "عقبال مائة سنة يا بابا"... فبدت الدهشة على الوجوه ... وتابع جلالته حديثه باللغة الأمهرية معبراً عن شكره العميق لزيارة البابا له.

وفى عام ١٩٦٧ وفى أعقاب النكسة عرف البابا أن شيئاً من عدم الوضوح يشوب موقف أثيوبيا فأرسل خطاباً لجلالة الإمبراطور عن طريق السفارة الأثيوبية بالقاهرة يطالبه فيه بدراسة عميقة لقضية العدوان على الأراضى العربية، وألا ينسى اللاجئين من شعب فلسطين. **وكان رد جلالته فورياً إذ أرسل للبابا برقية يقول فيها أنه قد أمر مندوب بلاده فى الأمم المتحدة**

بالوقوف بجانب العرب في قضيتهم العادلة وقد أرسلت وزارة الخارجية في مصر لقداسةالبابا خطاب شكر وتقدير.

لقد كان الأثيوبيون، وعلى رأسهم جلالة الإمبراطور يحبون البابا حباً جماً إذ يرون فيه كما قال جلالته "صورة الآباء القديسين الحكماء المملوئين من روح الله".

الكنيسة القبطية ومكانتها العالمية

لم ينقضِ عام واحد على رسامة البابا كيرلس حتى التفت حوله قلوب رؤساء الكنائس في مصر والعالم. وعادت الكنيسة لتأخذ مكانة عالمية كمكانتها التي كانت تحتلها منذ القرون الأولى للمسيحية، ويرجع الفضل في هذا إلى عمل الله في شخص البابا القديس، الذي صلى، وبكى، وترك يد الله تعمل.

ها هو ذا نيافة المطران إلياس زغبى النائب البطريركي للروم الكاثوليك يقول عن البابا: "**إن أبرز صفة يتميز بها البابا كيرلس هو أنه رجل الله ورجل الصلاة، ويعتبر نفسه وسيطاً بين الله وشعبه. ويعتمد أكثر ما يعتمد على نعمة الله لا على الوسائل البشرية وحدها التي كثيراً ما تبوء بالفشل**".

ونجد جريدة سويسرية "كاثوليكا أينيو" تقول: "معروف عن قداسته أنه رجل صلاة وحب، ورحمة... حينما توجه المطارنة - أمراء الكنيسة - إلى قداسته ينبئونه باختيار الروح القدس له "بابا" انحنى قداسته مقبلاً أيدي كل منهم قبلة السلام".. واختتمت الجريدة حديثها بقولها "**إن أفريقيا لتعيش أجمل أيام حياتها، كما أن الحب والتواضع يسود كل العلاقات بين الطوائف المسيحية المختلفة، وذلك من يوم ارتقاء القديس كيرلس هذا العرش التاريخي العظيم**".

ولننظر أيضاً إلى ما جرى بينه وبين غبطة البطريرك خريستفورس (٩٩ عاماً) بطريرك الروم الأرثوذكس. فقد حدد موعداً لزيارة البابا، ولكن وعكة صحية ألمت به مما دعا البابا إلى طلب إلغاء الزيارة، على أن يقوم هو بزيارته في المستشفى، فرفض غبطة البطريرك خريستفورس وحضر في موعده، فقال له البابا: لماذا منعتني من أن أنفذ وصية السيد المسيح له المجد الذي قال: "كنت مريضاً فزرتموني"، فرد غبطة البطريرك: "لو لم أجد من يحملني إليك لأتيت زاحفاً على يدي". وطلب من البابا الصلاة من أجل شفائه.

أما غبطة البطريرك المسكونى أثيناغورس، فقد جلس طويلاً مع قداسة البابا كيرلس ممسكاً بيده، ولا يريد تركها، ضارباً بمواعيده عرض الحائط. وقال فى حديثه الطويل: "**أنت قديس... أنت أروع مما سمعنا وقرأنا أرجو أن تمنحنى البركة يا قداسة البابا**".

كما قال المرحوم الدكتور القس إبراهيم سعيد رئيس الطائفة البروتستانتية بمصر"**إنه هبة من الله فى القرن العشرين للكنيسة القبطية الأرثوذكسية**".

ولأول مرة فى تاريخ السلك الدبلوماسى، يجتمع أعضاء منه يمثلون اثنين وعشرين دولة لتحية قداسته، والمثول بين يديه ونيل البركة... كان على رأسهم عميد السلك الدبلوماسى بالإسكندرية مندوب الولايات المتحدة الأمريكية،وكان من بينهم سفير الفاتيكان والقنصل العام الروسى. وعندما تقدم مندوب لبنان ـ قبل يدى قداسته عدة مرات ـ قال لقد فرحنا كتير... كتير بارتقاد قداستكم العرش ... الله يديمك لشعبك ويطول فى عمرك، ويحقق آمالك وأمل الشعوب فيك... ثم وجه له الدعوة لزيارة لبنان. أما عميد السلك الدبلوماسى فقال: "جئنا للبركة والتحية، ونحن نشكر الظروف التى هيأت لنا مثل هذا الاجتماع التاريخى.. لقد كنا نتتبع بشغف أنباء الكرسى البابوى حتى اختاركم الله لهذه الشعوب التى ترعاها قداستكم، وكان أعظم اختيار لأقدس بابا...

ومن ناحية أخرى، قام البابا كيرلس بزيارات لكنائس الطوائف المسيحية فى القاهرة والإسكندرية ورشيد. وكان لهذه الزيارات أثر جميل فى النفوس. وهكذا التفت حوله القلوب، وأحبته وأجلته.

قارئى العزيز ـ ها هى مكانة الكنيسة ممثلة فى شخص البابا بعد عام واحد من رسامته ولا يمكن أن يكون ذلك إلا نتيجة عمل الله فى هذا الرجل البار الذى أعطاه أن يجد نعمة فى أعين الجميع.

مؤتمر أديس أبابا:

عقد فى شهر يناير ١٩٦٥ وقد رفض الإمبراطور هيلاسلاسى أن يبدأ أعماله فى غيبة البابا كيرلس، فتأجل انعقاده حتى حضر البابا ورأس أعماله.

ويعتبر هذا المؤتمر أول مجمع مسكونى للكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية فى العصور الحديثة، فقد حضره: مار أغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية وسائر المشرق، وقداسة

الأنبا فاسكين الأول الكاثوليكوس الأعلى للأرمن باتشميازين (أرمينيا بالاتحاد السوفيتى) وقداسة الأنبا خورين كاثوليكوس كيليكيا الأرمن بانتلياس (لبنان) ونيافة الأنبا ثاؤفيلوس مطران هرر ونائب جاثليق أثيوبيا (الذى كان مريضاً) والأنبا باسيليوس جاثلييق الكنيسة السريانية الأرثوذكسية بالهند.

ورغم اتفاق هذه الكنائس جميعاً فى العقيدة إلا أنها كانت متباعدة والعلاقات بينها متقطعة الأوصال. ومن هنا يمكن أن ندرك الأهمية التاريخية لهذا المؤتمر.

وقد ناقش المجتمعون أموراً هامة تتعلق بالخدمة والكرازة فى العالم المعاصر، وعلاقة الكنائس المجتمعة بالكنائس الأخرى. واختتم المؤتمر أعماله بعد أن اتخذ عدة قرارات.

هذا وقد نبه البابا كيرلس إلى : "**أنه إذا كانت الكرازة لازمة** بين المتطلعين إلى المسيحية، فهى ألزم بين المسيحيين أنفسهم لكى **لا يكونوا مسيحيين بالاسم، بل متمسكين بمسيحيتهم عن إيمان كامل**". وقد صفق المؤتمر لهذه العبارة تصفيقاً حاداً لأنها صادرة عن مفهوم صحيح وعميق لمعنى الكرازة بالمسيح التى لا يمكن أن تنجح إلا إذا صدرت من مؤمن حقيقى ممتلئ من روح الله.

وقد قابل العالم بالسرور أنباء انعقاد هذا المؤتمر، وعبرت عن ذلك البرقيات التى تلقاها البابا باعتباره رئيساً له، وقال قداسة بابا روما فى برقيته: "تميز هذا العام باجتماع فريد شاركتم قداستكم الرؤساء الآخرين الموقرين لكنائسكم المسيحية، وذلك لبحث أكثر الطرق فاعلية للشهادة لإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح وللإنجيل الذى أعلنه".

وضماناً لاستمرار الوحدة التى أحياها هذا الاجتماع، تقرر أن يكون للمؤتمر سكرتارية دائمة، تنعقد مرة كل عام فى إحدى الكنائس الأعضاء، وعند انعقادها لأول مرة ١٩٦٦ بالقاهرة اشترك المجتمعون فى قداس عيد الميلاد المجيد المذاع من الكاتدرائية المرقسية بالقاهرة، وكان تعبيراً عن الوحدة القائمة بين هذه الكنائس .ونحن لا نذكر أنه قد أقيم **فى مصر مثل هذا القداس التاريخى ـ الذى جمع شتات أبناء العقيدة الواحدة ـ منذ قرون طويلة.**

استقبال رؤساء الكنائس:

توافد على زيارة البابا عدد كبير من رؤساء الكنائس الأرثوذكسية والأسقفية والكاثوليكية، والطوائف البروتستانتية، بجانب عدد لا حصر له من رجال الإكليروس وأفراد ينتمون لكنائس

مختلفة، فلا يمر أسبوع دون أن يستقبل البابا زائراً أو أكثر من ضيوف مصر من الكنائس الأخرى، إذ يحرص معظم من يأتى لزيارة مصر من المسيحيين أن ينال شرف مقابلة بابا الإسكندرية.

المجالس والمؤتمرات الدينية:

تدعم مركز الكنيسة فى مجلس الكنائس العالمى وأمكن أن تشترك فى عضوية لجانه الهامة وقد مكنتها عضويتها فى المجلس من الدفاع عن قضايا الوطن والرد على موجات الدعاية المغرضة.

حرصت الكنيسة على أن تحتل مكانتها فى معظم المجالس الدينية والكنيسة كمجلس السلام المسيحى، والاتحاد الدولى لجمعيات الكتاب المقدس، والإتحاد الدولى للطلبة المسيحيين، والهيئة الدولية للإذاعات المسيحية، والمجلس العالمى للتربية المسيحية، ومجلس كنائس كل أفريقيا، ورابطة كليات اللاهوت بالشرق الأوسط ... وغيرها.

- أوفدت الكنيسة مندوبين عنها لحضور:

١ ـ مؤتمر الكنائس الأرثوذكسية (الخلقيدونية) فى رودس سنة ١٩٦١.

٢ ـ العيد الألفى لأديرة جبل آثوس الشهيرة سنة ١٩٦٣.

٣ ـ مجمع الفاتيكان الثانى فى دوراته الأربع سنة ٦٢، ٦٣، ٦٤، ١٩٦٥.

الكنائس القبطية بالخارج:

سعت الكنيسة وراء أبنائها فى الخارج لترعاهم وتحفظهم من التشتت، والذوبان فى المجتمعات التى يعيشون فيها. ومع إنشاء هذه الكنائس تمتد الكرازة إلى آفاق جديدة.. ومع إقامة كل كنيسة نجد الصحف الأجنبية تفرد الصفحات للتحدث عن الكنيسة القبطية وتاريخها. وعن البابا كيرلس السادس الرجل القديس. وهكذا عادت الكنيسة لتشع بنور إيمانها الصحيح إلى أطراف قصية من العالم:

١ ـ أوفد البابا كيرلس كهنة لإقامة الشعائر الدينية فى مختلف المدن الأوروبية.

٢ ـ أقيمت كنيسة بدولة الكويت عام ١٩٦١.

٣ ـ أنشئت كنيسة فى تورنتو بكندا سنة ١٩٦٤.

٤ ـ أنشئت كنيسة فى مونتريال بكندا سنة ١٩٦٧ .

٥ ـ أنشئت كنيسة بسيدنى سنة ١٩٦٩ .

٦ ـ أنشئت كنيسة بملبورن سنة ١٩٧٠ .

٧ ـ أنشئت كنيسة بنيوجرسى سنة ١٩٧٠ .

٨ ـ أنشئت كنيسة بكاليفورنيا سنة ١٩٧٠ .

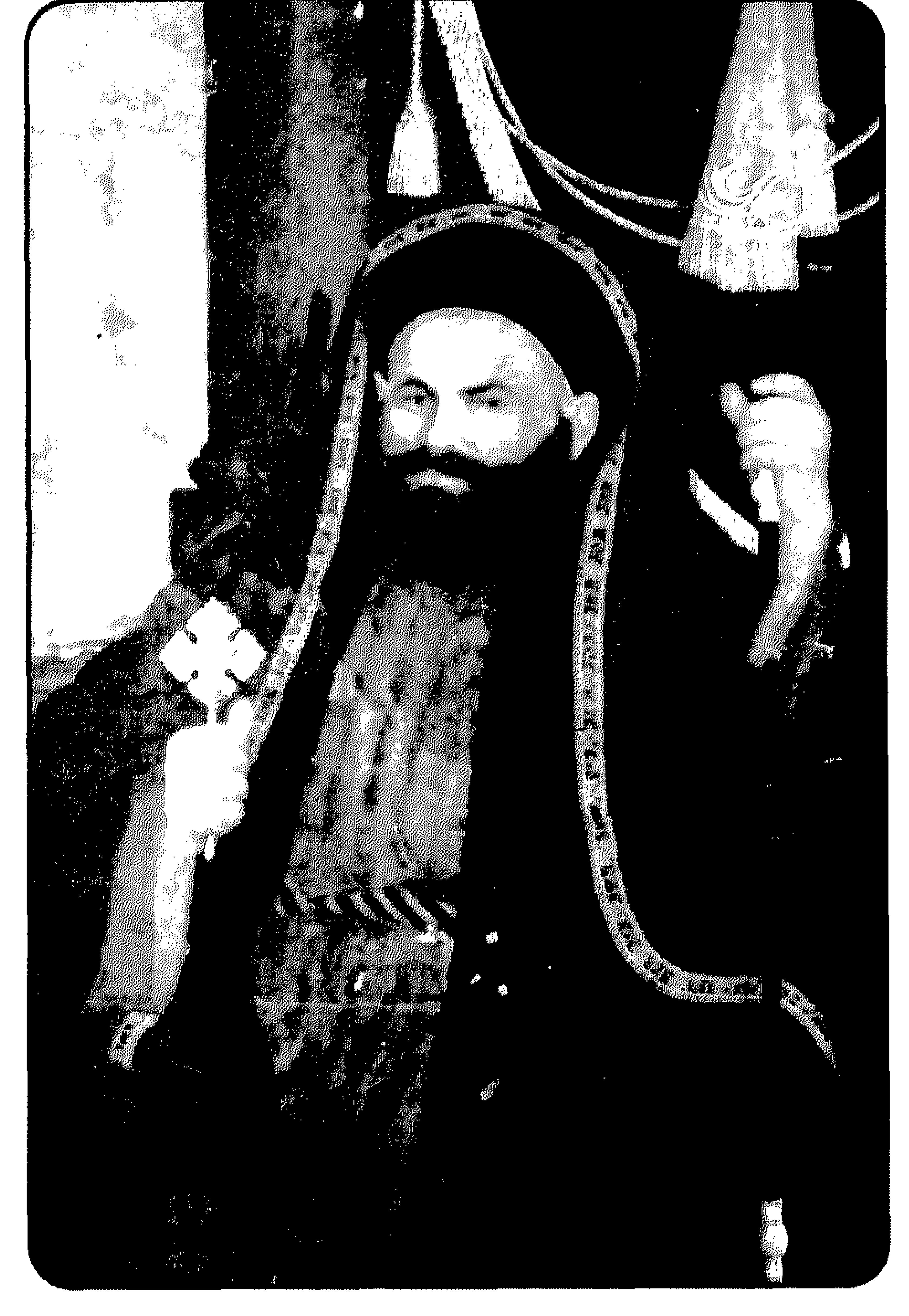
ويلزم قبل أن أنهى كلمتى أن أشير إلى حدثين هامين حدثا فى العصر الكيرلسى سيجعلان اسم الكنيسة القبطية الأرثوذكسية راسخاً فى الأذهان لأجيال طويلة.

الحدث الأول: هو تجلى العذراء البتول أم النور فى كنيستنا بالزيتون. أن هذا الحدث الإلهى طير اسم الكنيسة إلى العالم أجمع، وجعله على كل لسان ومعروفاً بكل لغة. واحتلت الكنيسة مكانة قدسية فريدة ممتازة، ما كانت تصل إليها بآلاف الزيارات والكتابات والنشرات والبعثات.

والحدث الثانى: هو عودة جسد القديس مرقس من البندقية، وما كان له من دوى عالمى، أكد عمل الله فى كنيسته القبطية، نظراً لموافقة قداسة بابا روما على عودة الجسد بعد مرور ١١٤٣ عاماً على نقله من الإسكندرية.

الفصل الحادى عشر

حلم كيرلس الرابع يحققه كيرلس السادس



الأيقونة الأثرية للقديس البابا كيرلس الرابع
(أبى الإصلاح) البطريرك الـ ١١٠

إن فادينا الحبيب قد أعلن أنه لا ينسى كأس ماء بارد ـ فالذى يذكر عطية ضئيلة هل ينسى دم شهيد نال إكليل الشهادة لأنه سعى إلى توحيد الصفوف بين الكنائس الأرثوذكسية؟ لقد داعب هذا الأمل قلب كيرلس الرابع واستشهد فى سبيله فى ٢١ أمشير سنة ١٦٧٧ ش (٣٠/ ١/ ١٨٦١م). ومرت السنون وكأن النسيان قد طوى هذا الحلم الجميل. ولكن ذلك الذى ليس عنده ظل دوران حفظ لشهيده هذه الرغبة الروحية الخالصة. فبعد انقضاء مائة وأربع سنوات، وفى يناير سنة ١٩٦٥، دعا الإمبراطور هيلاسلاسى قداسة البابا كيرلس السادس ليرأس مؤتمراً للكنائس الأرثوذكسية اللاخلقيدونية فى أديس أبابا. وتهلل قلب رجل الله لهذه الدعوة واستصحب الأنبا أنطونيوس مطران سوهاج والأنبا صموئيل والقمص فليمون لبيب راعى كنيسة مارمينا برمل الإسكندرية والشماس

يوسف منصور وأربعة من العلمانيين. وكان المجتمعون معهم مار أغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية وسائر المشرق، وأنبا فاسكين الأول الكاثوليكوس الأعلى للأرمن بأتشيمبازين (أرمينيا بالإتحاد السوفيتى) وأنبا خورين كاثوليكوس كيليكيا للأرمن بأنتيلياس (لبنان)، وأنبا ثيئوفيلس مطران هرر نائباً عن الجاثليق الذى كان مريضاً، وأنبا باسيليوس جاثليق الكنيسة السريانية الأرثوذكسية بالهند. وتولى السكرتارية أنوبيارتا وزير الصحة الأثيوبى.

ولقد فرح الجميع فرحاً عميقاً. فهم واقفون على أرضية واحدة ولهم خلفية واحدة. ثم باعدت بينهم السياسة الإمبريالية والحروب والاضطهادات. وها هم يتلاقون الآن إخوة متصافين. وأعلنوا كلهم الرغبة الواحدة وهى أن يكون المؤتمر فاتحة لعهد جديد بينهم: عهد للمجامع تربط كنائسهم بالوحدة التى عاشتها فى فترة المجامع المسكونية الثلاثة الأولى: بنيقية والقسطنطينية وأفسس، وبهذه الوحدة تزداد الكنيسة المتآلفة قوة وحيوية وإمكانية على نشر رسالة الفداء فى العالم أجمع.

وبعد الانتهاء من مداولاتهم قرروا ما يأتى:

١ ـ يؤكد مؤتمر الكنائس الشرقية الأرثوذكسية اللاخلقيدونية تمسكه بالإيمان الأرثوذكسى والعقيدة القائمة على الكتاب المقدس والتقاليد المقدسة، ويحكم على النظريات الحديثة والتصريحات المختلفة بمقتضى نصوص الكتاب المقدس وتعاليم آباء الكنيسة لأن " كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتهذيب الذى فى البر، لكى يكون إنسان الله كاملاً متأهباً لكل عمل صالح" (٢ تى ٣: ١٦، ١٧).

وعلى كل من كنائسنا أن تعين لجنة لدراسة تفصيلات المشاكل التى تواجهها نتيجة لهذه النظريات الحديثة وتسجلها وترسلها إلى اللجنة الدائمة للمؤتمر.

٢ ـ هناك حاجة ملحة لإعادة التوافق بين الإنسان عامة والشباب المتعلم خاصة وبين حياة الكنيسة. لذلك وجب إفساح الفرصة أمام الشباب ليدخلوا إلى قلب الحياة الكنسية.

٣ ـ إن الأسرة هى الخلية الأساسية فى حياة الكنيسة لذلك يجب تقديم توجيهات كافية للراغبين فى الزواج ولحديثى العهد به ولرعاية الأسرة.

٤ ـ إنه يتحتم تقوية وتعميق حياة الناس فى أسرار الكنيسة وفاعليتها فى الحياة الباطنية التى لابد من أن تجعل الإنسان أخاً لغيره فالناس كلهم أولاد الله. ومن الضرورى ترسيخ أهمية سر الاعتراف كنبع فياض للإرشاد الروحى والخلقى.

٥ ـ إن التربية المسيحية ضرورية موضوعة علينا فيجب تكوين لجنة لوضع المناهج التى تتفق وتعاليم الكنيسة.

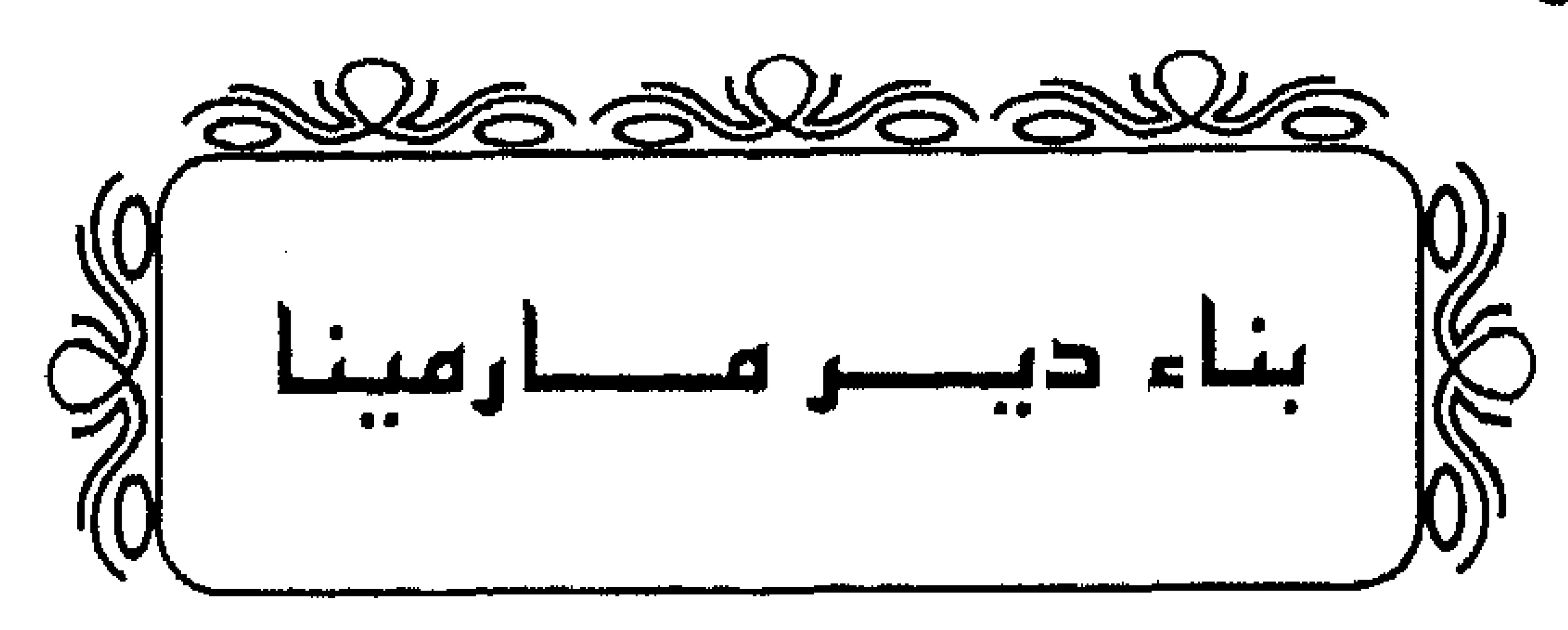
٦ ـ منذ فجر المسيحية اهتمت كنائسنا بالإنتاج الأدبى فترك لنا الآباء تراثاً ضخماً من كتاباتهم. ونحن بدورنا سيجب أن ننهج منهجهم فنشجع كل من لديه الموهبة على أن يكتب فى الميدان من واقع الإنجيل، وإلى كتب شعبية كالقصص والنبذات الصغيرة المبسطة وإلى نشرات تعطى صورة متكاملة لتاريخ كنائسنا ووضعها الحالى بأسلوب دقيق متواضع عادل.

٧ ـ وجدير بنا إصدار مجلة لكل كنائسنا تتضمن مختارات من إنتاجاتنا المحلية ونشاط لجاننا وسكرتيرياتنا العامة.

كذلك أصدروا قرارات عن إنعاش الرهبنة والعمل على الإفادة بالراهبات. ثم بتبادل الرهبان والراهبات بين كنائسنا المختلفة ونظام الإدارة الكنسية.

ومن ثم انتقلوا إلى التشاور عن التعاون فى مجال التعليم اللاهوتى والكرازة وفى علاقة كنائسنا بالكنائس الأخرى. وانتهوا إلى تكوين هيئة للعلاقات العامة الدائمة اختار لها قداسة البابا كيرلس السادس الأنبا صموئيل والأنبا أثناسيوس.

الفصل الثانى عشر



بناء ديـــر مـــارمينا

الشهيد العظيم مارمينا فتى مصرى، ينتمى إلى عائلة كبيرة من طبقة الحكام. هجر الجندية إلى الصحراء ليمتلئ بفيض نعم السماء، وبعدها أعلن إيمانه بالمسيح، واستشهد على اسمه المبارك بعد أن لحقته اضطهادات مريرة. وقد أعلن الله عظم كرامة هذا القديس بما أظهر من جسده فى مريوط من آيات ومعجزات، فأنشئت على اسمه عدة كنائس فى تلك المنطقة، كان أكبرها الكاتدرائية العظيمة ذات الهياكل السبعة، المشيدة بالرخام والأحجار النادرة، وقد عمرت المنطقة التى وجدت بها الكنائس نظراً لكثرة الوافدين لنيل البركة، فوجدت المحال التجارية وبعض الحرف، والحمامات، بل المنازل والقصور الفاخرة، تحوطها المروج وأصبح الطريق إليها ممهداً تسلكه الآلاف.وكل هذا يشير بأجل بيان إلى عظم مكانة هذا الشهيد بين قديسى الكنيسة.

وقد تعرضت الكنائس، والمنطقة كلها، بعد عدة قرون للتخريب والدمار، فزال عنها المجد والبهاء. وانتقل جسد القديس من مدينة إلى أخرى معرضاً بذلك للضياع بصورة ربما لم تحدث لجسد أى قديس آخر، ولكن الله حفظه على مر الزمان، حتى عندما ألقى به فى النيران لم يحترق، بل تبدى منه نور بهى. وكان الله يظهر فى كل مرة يضيع فيها، وفى كل مكان ينتقل إليه، إن هذه العظام المقدسة هى لجنده الباسل شهيده مارمينا (١).

فليس ثمة شك إذاً فى أن الله هو الذى دفع البابا كيرلس لإحياء مجد وذكرى هذا القديس الوطنى العظيم، ليتبوأ مكانته اللائقة به، وإلى بعث الحياة مرة أخرى فى تلك الأرض التى ملأها مارمينا من قبل بالحياة والعمران وأن ما فعله البابا هو حدث هام من سلسلة الأحداث بل المعجزات التى دبرها الله لتبقى ذكرى هذا القديس دائمة إلى الأبد، على ما سيتأكد بالأكثر وشيكاً.

---

(١) راجع فى هذا الشأن كتاب مارمينا العجايبى إصدار كنيسة مارمينا بفلمنج بالإسكندرية.

نداء مارمينا:

ترجع علاقة البابا بمارمينا إلى سنى طفولته، وعند رهبنته شاء الله أن يدعوه الأنبا يؤانس باسم مينا تميناً براهب بار كان من رهبان دير البراموس. فازداد حب البابا للقديس مينا، وعاش يتشبه به، ويتشفع ببركة صلواته. وعندما أرغم على ترك الطاحونة، شيد كنيسة على اسمه في مصر القديمة ولكن هذا لم يكن كافياً ليشفى غليل محبة البابا لشفيعه مارمينا، فعشق أن يعيش فى رحابه بمريوط، فأرسل يطلب من مصلحة الآثار التصريح له بالسكن فى حجرة تحت كنيسة مارمينا الأثرية هناك. وطال انتظاره وهو يرسل الاستعجالات، حتى جاءه الرد بالموافقة بعد ظهور القرعة باختياره بطريركاً. وكانت هذه بشرى جميلة، وإعلان سمائى أدرك البابا مغزاه.. أنه لن يسكن فى حجرة ألح فى طلبها وهو راهب، بل سيعمر المنطقة كلها بعد أن أصبح بابا الإسكندرية.

وإن كان الزائر لمنطقة "بومينا" ينفطر قلبه حزناً وأسى على ما لحقها من تخريب أودى بنضرة الحياة، وسحق عظمة البناء، وعصف بخضرة المروج، فإنه من ناحية أخرى سيبتهج للعمل المجيد الذى قام به قداسة البابا فى هذه البقعة النائية القاحلة. التى هجرتها الحياة من قرون طويلة، فغمرها بإيمانه، وأشاع فيها من روحه الطموحة البناءة التى تقودها العناية الربية لقد عاد إليها نبض الحياة، وعلا فيها صوت التسبيح .... كما عاد إليها مالكها القديم "الشهيد مارمينا" خالعاً عليها أثواب الخلود مرة أخرى. ولم يثن البابا عن المضى فى العمل، سنه المتقدم، ولا مشقة الطريق، ولا رهبة المكان ووحشته. ولا مصاعب جلب المياه، ومواد البناء، فتمت على يديه آية عظيمة.

أرسل البابا إلى هيئة تعمير الصحارى بطلب شراء خمسين فداناً بجوار المدينة الأثرية بمريوط، ثم أعقبه بطلب شراء خمسين أخرى.

وفى عام ١٩٥٩ ، وفى أول عيد للشهيد مارمينا بعد رسامة البابا أقيم بالكنيسة سرادق كبير، وأوفد البابا فى عشية العيد سكرتيره الخاص ليقيم صلاة رفع بخور عشية العيد، وليطمئن على الاستعدادات الجارية للاحتفال بالعيد. وفى صباح الغد أقام البابا هناك صلاة التسبحة، والقداس الإلهى، وتقرب من الأسرار المقدسة حوالى خمسمائة رجل وامرأة، وبعد ذلك اتجه إلى الأرض التى اشتراها من هيئة تعمير الصحارى، وصلى فيها وباركها، ووضع

حجر أساس دير مارمينا. وفى أثناء هذا الاحتفال طلب بعض الحاضرين من البابا أن يجلس على الكرسى الكبير الذى أعد لقداسته فرفض قائلاً: "**إن هذا الكرسى لمارمينا**".

وبدأ المقاولان السكندريان شاروبيم وفرج أقلاديوس العمل، فأقيمت كنيسة صغيرة، وحجرتان **كان البابا ومرافقوه يقضون فيهما أياماً بل شهوراً فى ظروف قاسية لا يتوافر فيها أمن أو راحة، وذلك للاطمئنان على سير العمل.**

وافقت مصلحة الآثار بعد ذلك على طلب للبابا بنقل كمية من الأحجار التى ليست لها قيمة أثرية لاستخدامها فى بناء الدير. وقام الطلبة بهذا العمل باستخدام الجرارات، واستغرق ذلك سنتين كاملتين، وأقيم سور حول مساحة تقدر بخمسة عشر فداناً من أرض الدير. وبنيت هناك بعض القلالى وكنيسة أخرى دشنت فى احتفال كبير حضره آلاف المصلين. ولكن الحنين إلى كنيسة مارمينا الأثرية، دفع البابا إلى أن يمتطى دابة، وتوجه بها إلى هناك للتبرك من أرض مارمينا.

ولكن الكنيسة الأثرية بهياكلها السبعة كانت تجذب أفكار البابا فشرع فى بناء كنيسة أخرى تشابهها فى عظمتها، إحياء لذكرى حبيبه الذى كان الناس يأتون إليه من مختلف بقاع الأرض: أباطرة، وقادة، وأغنياء، وفقراء، ملتمسين بركة صلواته وشفاعاته. ومساحة هذه الكنيسة تزيد على مساحة الكاتدرائية المرقسية بالقاهرة. **وقد ترك البابا مبلغ خمسة وخمسين ألفاً من الجنيهات لإتمام بنائها لتليق بالبطل الشهيد.**

البابا فى رحاب مارمينا:

أحب البابا الشهيد مارمينا حباً عظيماً وخاصاً، وكان مارمينا يسانده مساندة قوية، ويصنع معه الكثير من المعجزات:

+ فما أن يصل البابا إلى دير مارمينا حتى تبدو عليه علامات الصحة والعافية، ولا يستخدم الأدوية التى أتى بها ويقول: "**لقد وصلنا إلى ميناء الخلاص**". و"**عند مارمينا لا داعى لأدوية العالم**". كما كان أقل القليل من الطعام يكفيه قوتاً.

+ وفى رحابه أيضاً يجد دائماً العزاء. فكم من مرة ذهب إلى هناك مثقلاً بالمشاكل، ويعود وقد ذللت الصعاب. قال لى قداسته يوماً ونحن هناك، وكان حزيناً مهموماً: "يا ابنى لا

داعى لنزولنا للعالم مرة ثانية.. ألن نجد هنا رغيف خبز كل يوم، مع قليل من ملح الجبل".
ولكن لم تمضِ أيام معدودة حتى خلصه الله من أتعابه، وعاد إلى أبنائه المشتاقين إليه بدموع الفرح والشكر لله ولمارمينا.

وفى ليلة عيد القيامة عام ١٩٦٥، أرسل الله له هناك سواحاً حضروا معه صلاة قداس العيد. وكان حضورهم عزاء لقلبه، وبعد ذلك حلت كثير من المشاكل المستعصية.

+ عندما وصل البابا إلى المنطقة لأول مرة، هطل المطر بعد انقطاعه مدة طويلة، ففرح الإعراب القاطنين حول الدير كثيراً، وأصبحوا يستبشرون خيراً بمجئ البابا، ويسألون عن موعد حضوره، ولما علموا بنياحته حزنوا وحضروا يعزون الآباء الرهبان، وطلبوا أن يدفن جثمانه هناك فى الدير، فعرفهم الآباء أن البابا قد ترك وصية بذلك.

ما كنا نقول للبابا أن بعض المؤن نفذت، حتى نجد فى الغد زائراً يأتى ومعه الكثير منها فتتعجب، أما هو فكان يقول: "ألم أقل لكم لا تطلبوا شيئاً، فالرب يعرف احتياجاتكم جميعاً. أطلبوا أولاً ملكوت الله وبره".

+ عندما كان البابا يصلى فى المنطقة الأثرية يوماً كانت سيارة خاصة تسير مسرعة، لتصعد فوق جرف منحدر بشدة، لكن السيارة تتوقف فجأة، نصفها على حافة الجرف، والنصف الآخرمعلقاً فى الهواء ويخرج من فيها متعجبين لنجاتهم!!! وكأمر البابا استخدمت سيارة نقل فى سحبها وعادت لتكمل سيرها دون أن يلحقها ضرر.

+ سقط عامل يدعى "مسعود" وهو من عمال المقاولين شاروبيم وفرج أقلاديوس، تحت عجلات جرار أثناء العمل فى بناء الكنيسة، وتكسر ساقاه. فبكى البابا لأجله وطلب شفاعة مارمينا. ودخل العامل المستشفى ويخرج منها ليعود إلى عمله كأنه لم يمس بسوء من قبل.

+ كم من مرة يطلب البابا من آباء الدير أن يضيئوا "الكلوبات" لتنير لسيارة متعثرة فى الطريق. وبعد وقت ليس بقليل تحضر سيارة للدير يقول أصحابها أنهم ضلوا الطريق، ولم يرشدهم سوى ضوء "الكلوبات" من بعيد. ويتعجبون عندما يعرفون أن البابا قد أمر بإشعال الكلوبات.

ماذا حدث هناك:

لعلك يا قارئي العزيز لست فى حاجة إلى دليل على أن يد الله كانت هناك، بعد كل ما ذكرنا. ومع ذلك فإليك أحداث وتواريخ ثابتة لن يمحوها الزمن ولن ينساها أحد.

+ قدم البابا إلى صحراء مريوط فى نوفمبر ١٩٥٩ . وبعدها بدأ فى زياراته الرعوية للمحافظات، متفقداً أبناءه هناك. ومما يذكر أنه كان يردد دائماً عندما يعتزم القيام بزيارة أو مقابلة هامة، بأنه أرسل مارمينا قبله.

+ وفى يونيه ١٩٦٠ وكان البابا فى دير مريوط، فكر فى القيام بزيارة رعوية لأثيوبيا، استجابة لدعوة كان قد وجهها له الإمبراطور هيلاسلاسى الأول، وقد سافر فى أكتوبر سنة ١٩٦٠ ، وسط فرحة الشعب الأثيوبى الغامرة.

+ فى خريف عام ١٩٦٤ ، وجه الإمبراطور هيلاسلاسى دعوة لقداسته لرئاسة مؤتمر الكنائس الأرثوذكسية الشرقية الذى عقد فى أثيوبيا. ومن المعروف أن المؤتمر أجل أعماله حتى يصل قداسة البابا، وكان وقتها فى مريوط، ومن هناك عاد إلى القاهرة ثم سافر إلى أثيوبيا على ما سبق أن أوضحنا فى فصل سابق.

+ وفى أسبوع الآلام المقدسة عام ١٩٦٥ كان البابا فى دير مارمينا، ووجهت له الدعوة لمقابلة الرئيس جمال عبد الناصر، فتوجه قداسته مباشرة من الدير إلى منزل السيد الرئيس فى ٩ مايو ١٩٦٥ ، وكانت مقابلة تاريخية، كما سبق أن أشرنا فى فصل سابق.

+ فى سبتمبر ١٩٦٦ ترك البابا الدير إلى الإسكندرية لمقابلة غبطة بطريرك فنلندا الذى أرسل خطاباً يقول فيه: "لا أريد شيئاً سوى وجه البابا كيرلس الملائكى، ونيل بركاته الرسولية". وقد سافر البابا إلى الإسكندرية لما عرف أن غبطة البطريرك مصمم على الحضور لمقابلته فى الصحراء.

+ فى الصوم الكبير ١٩٦٧ فى دير مارمينا، فكر البابا فى عمل الميرون المقدس، وقد تم ذلك، كما سبقت الإشارة.

+ وفى نفس الوقت وجهت الدعوة لقداسته لمقابلة الرئيس جمال عبد الناصر حيث حلت مشكلة الأوقاف الخيرية، بعد فشل المجلس الملى فى إدارتها وعجز عن سداد مرتبات العاملين بالبطريركية وكنائس أخرى لعدة شهور.

+ وفى نفس السنة أرسل البابا كيرلس من مريوط أيضاً إلى قداسة بابا روما يطلب إعادة جسد القديس مرقس الرسول.

+ وفى يونيو عام ١٩٦٨ قدمت الوفود العالمية المشتركة فى افتتاح الكاتدرائية المرقسية الجديدة دير مارمينا بمريوط حيث أثنت على مجهودات البابا كيرلس السادس الذى أعاد الحياة إلى أطلال إلى تلك المنطقة، وتناول أعضاء الوفود الغذاء على مائدة الدير.

+ فى صيف عام ١٩٦٩ وصلت للبابا، وكان فى الدير بمريوط، خطابات من عدة دول أفريقية تطلب الانضمام لكنيسة الإسكندرية.

+ فى سنة ١٩٧٠ ، وفى آخر زيارة للبابا كيرلس للدير قبل انتقاله إلى السماء، أرسل إلى بابا روما يطلب إعادة جسد القديس أثناسيوس الرسولى، البطريرك العشرين من بطاركة الإسكندرية، والملقب بحامى الإيمان القويم. وكان البابا ينوى دفنه فى الكنيسة المسماة باسمه فى منطقة السيوف بالإسكندرية والموقوفة على دير الشهيد مارمينا بمريوط.

٣٥ عاماً على إحياء منطقة القديس مينا

٢٧ نوفمبر ١٩٥٩ يوم تاريخى مشهود خلد فى سجل الكنيسة القبطية إذ بزغ فيه فجر جديد بمنطقة لها تاريخ عريق وإن كان قد طواها النسيان منذ القرن الثالث عشر الميلادى وتحولت إلى كوم من الرمال، وصمت صوت التسبيح الذى كان يروى بها. انقطع تدفق الزوار إليها لكن هذا اليوم الذى صنعه الرب بدأ فى الساعة الرابعة صباحاً. جمع غفير من أبناء الإسكندرية (نحو ٥٠٠ شخص) يتقدمهم أب بطريرك وقور تجمعت فى شخصه روح الكنيسة القديسين له من العزم الشديد، والإيمان القوى ما يستطيع به أن يجتاز الصعاب ويتحمل الضيقات يحيط به مجموعة من الآباء الأساقفة وبعض من كهنة الإسكندرية وأعضاء المجلس الملى السكندرى هذا الحشد العظيم غادر مدينة الإسكندرية قبل بزوغ ضوء الشمس حتى وصلوا إلى مدينة القديس مينا. تفاصيل هذا اليوم العظيم سجلت فى أعماق الإنسان، مبارك بالحقيقة من كان له نصيب فى حضور هذا اليوم التاريخى ولعظمة ذلك اليوم وتاريخ تلك المنطقة نصطحب القارئ العزيز فى رحلة تاريخية على مدى ١٧ قرناً تبدأ من القرن الرابع الميلادى.

١ ـ فى القرن الرابع الميلادى:

فى أوائل القرن الرابع (٣١٢ ـ ٣١٥م) أحضر القائد أثناسيوس جسد القديس مينا بعد استشهاده ودفنه بمنطقة مريوط وبنى له هناك مقبرة ولم يخبر أحداً بموضعها وبعد أن اكتشف مكان القبر نتيجة بعض المعجزات التى صنعها القديس بنى الشعب على اسم القديس كنيسة صغيرة لها أربعة أعمدة فوق قبر القديس (٣٢٠ ـ ٣٢٥م) وعندما ضاقت الكنيسة بالمصلين الذين كانوا يتوافدون من كل مكان لنيل بركة القديس طلبوا من البابا أثناسيوس الرسولى البطريرك ٢٠ إعداد كنيسة أكبر، فبنى لهم البابا حول الكنيسة الأولى كنيسة أوسع منها وكان أن أصبحت الكنيسة الأولى هيكلاً للثانية أما تاريخ البدء فى بناء الكنيسة فكان حوالى عام ٣٦٣م.

٢ ـ فى القرن الخامس الميلادى:

عندما ضاقت الكنيسة التى بناها البابا أثناسيوس بالمصلين قام البابا ثاؤفيلس البطريرك ٢٣ (٣٨٥ ـ ٤١٢م). ببناء كاتدرائية كبرى شرق كنيسة أثناسيوس كمل بناؤها فى عهد البابا تيموثاوس البطريرك ٢٦ (٤٥٥ ـ ٤٧٧م) وأطلق عليها المؤرخون القدامى: أجمل وأعظم وأشهر كنيسة فى مصر تحفة من روائع الفن المسيحى هيكل سليمان، منبع سرور الأرثوذكسيين وبنهاية القرن الخامس الميلادى بنيت مدينة عظيمة حول قبر القديس وكنائسه وقام الإمبراطور زينون (٤٧٤ ـ ٤٩١م) بتشجيع عظماء الشعب على سكنى المدينة الجديدة وأقام بها جامعة عسكرية لحمايتها من غارات البدو. وهكذا تحولت القرية الصغيرة إلى مدينة عظيمة متحضرة وصفها المؤرخين بالمدينة الرخامية.

٣ ـ فى القرن السادس الميلادى:

فى عهد الإمبراطور أنسطاسيوس (٤٩١ ـ ٥١٨م) قام الإمبراطور الرومانى فيلوكسينوس بتشييد بيوتاً لضيافة الوافدين للمنطقة وبناء استراحات مزودة بالماء وبجوار بحيرة مريوط أقام سوقاً كبيراً ازدحم بالمحلات التجارية وهكذا اتسعت المدينة وازدهرت حضارتها كما ازدحمت بالسكان حتى بلغ عددهم عدة آلاف.

٤ ـ فى القرن السابع الميلادى:

قام البابا دميانوس الأول البطريرك ٣٥ (٥٦٩ ـ ٦٠٥م) باستكمال بعض المنشآت الدينية فى المدينة. ولكن حدث أن الأقباط بدأوا فى المعاناة من اضطهاد الملكيين لهم وذلك بعد مجمع خلقيدونية (٤٥١م) وهو المجمع الذى ترفضه الكنيسة القبطية حتى أن البابا بنيامين الأول البطريرك ٣٨ (٦٢٨ ـ ٦٦٢م) غادر مدينة الإسكندرية من وجه البطريرك الملكانى قيرش وذهب سيراً على الأقدام إلى بلده ماريا (غرب الإسكندرية) قاصداً مريوط حتى وصل إلى مدينة القديس مينا وهناك صلى بالكنيسة الكبرى وبعد أن استراح من تعب السفر توجه إلى وادى النطرون ثم أكمل طريقه إلى صعيد مصر.

٥ ـ فى القرن الثامن الميلادى:

بعد نياحة البابا مينا الأول البطريرك ٤٧ (٧٦٧ ـ ٧٧٦م) اجتمع آباء الكنيسة لاختيار بطريركاً خلفاً له، فوقعت القرعة الهيكلية على القس يوحنا أحد رهبان كنيسة مارمينا بمريوط ودعى باسم البابا يوحنا الرابع وصار البطريرك ٤٨ (٧٧٧ ـ ٧٩٩م) واهتم بمنطقة القديس مينا وأخذ يجمع تفاصيل سيرة القديس وتاريخ مدينته حتى زمن الفتح العربى لمصر. وقد عثر على هذا المخطوط الأثرى باللغة القبطية فى لهجتها الصعيدية بقرية الحامولى بمحافظة الفيوم. وقد اهتم العلامة البريطانى درشر بدراسة نص هذا المخطوط فى النسخة الموجودة بالمتحف القبطى بالقاهرة وقامت جمعية الآثار القبطية بالقاهرة بنشره عام ١٩٤٦م.

٦ ـ فى القرن التاسع الميلادى:

فى أوائل القرن قامت حرب بمنطقة الإسكندرية بين المصريين من جانب والمدالجة (من الجزيرة العربية) والأسبان من جانب آخر وقد أدى هذا إلى توقف الزيارات إلى مدينة القديس. هذا بالإضافة إلى انتشار الفوضى والغلاء فى كل المدن. ثم فى منتصف هذا القرن سرقت من المدينة أغلب محتوياتها الرخامية الثمينة وبالأخص أعمدة وجدران الكنيسة الكبرى. وبنهاية هذا القرن أغار قوم من العربان على أنحاء متفرقة من مصر عام ٨٦٧ م وحاصروا الإسكندرية ونالت مدينة القديس مصائب عديدة حتى تجردت تماماً من كل مظاهر الحياة.

٧ ـ فى القرن العاشر الميلادى:

فى النصف الأول من هذا القرن تجردت من كل ما تبقى من المدينة وذلك بسبب جيش من المغاربة حارب المصريين عام ٩١٤م وخرب المنطقة فى ذهابه وإيابه.

٨ ـ فى القرن الحادى عشر الميلادى:

فى كتاب (وصف أهم المدن والبلدان المعروفة على طول الطريق من مصر إلى برقة وكل موانى المغرب) للرحالة العربى "البكرى" عام ١٠٨٦م وقدم وصفاً دقيقاً للمدينة المهجورة وما كانت عليه من روعة وبهاء.

٩ ـ المدينة التى تحولت إلى أنقاض:

وبعد الرحالة البكرى صمت التاريخ بخصوص المدينة ولم يذكرها أحد فيما بعد إلا فى بداية القرن الثالث عشر حين تحدث أبو صالح الأرمنى حوالى عام ١٢٠٩م عن بقايا الكنيسة الكبرى التى كانت لم تزل قائمة فى ذلك الوقت. وبنهاية القرن الثالث عشر كانت المدينة بكل الحزن قد تحولت إلى أنقاض وبداخلها جسد القديس مينا الذى اكتشف فيما بعد ونقل إلى القاهرة فى النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادى. وبهذا انقضت تلك الأيام الجميلة التى كانت فيها المدينة وكنيستها الكبرى مفخرة للعصر ولكل شعبها ولكل أقباط مصر!! لكن الرب كان يعد من أجلنا شيئاً آخر.

١٠ ـ عودة الحياة إلى المنطقة فى القرن العشرين:

فى عام ١٩٠٤م نظم العالم الإيطالى بريشيا رحلة لاستكشاف الصحراء الغربية بحثاً عن مدينة القديس مينا وهناك تقابل مع بعثة ألمانية بقيادة المنسنيور كوفمان الذى جاء إلى مصر بغية الوصول إلى نفس الهدف فقد كانت لدى بعثته كثير من الإمكانات المادية والإرادة الطيبة مما لم يكن فى استطاعتى الحصول على مثله واستطاعت البعثة الأثرية الألمانية أن تضع يدها على خيوط هذه المدينة فى ٧ يوليو ١٩٠٥ حين عثرت على كوم من الحجارة المتراكمة اتضح بالبحث أنها كنيسة البابا ثاؤفيلس الرائعة وخلال عام (١٩٠٦ ـ ١٩٠٧) اكتشفوا قبر القديس مينا والكنيسة الكبرى وبعد ذلك توالت الاكتشافات.

يذكر الأب شينو مؤلف كتاب (قديسى مصر) عام ١٩٢٣ أنه فى أبريل ١٩٢٣ توجهت أول زيارة جماعية للمنطقة مكونة من أربعين شخصاً بغرض الصلاة عند القبر المقدس الذى للقديس مينا وخلال عامى ١٩٢٦ - ١٩٢٧ عاد بريشيا مرة أخرى إلى المنطقة بغرض ترميم وحفظ آثار المدينة حيث أقام حولها سوراً حديدياً مازال باقياً حتى اليوم حول فتحة نصف دائرة تطل على قبر القديس. ومع بداية الثلاثينيات زار المنطقة العلامة الفرنسى "دى كوسون" وكتب عنها فى كتابه "مريوط" الذى صدر عام ١٩٣٥ وفى يوليو ١٩٤٢ زار العلامة البريطانى بركنز المنطقة وقام بدارسة الكنيسة الأثرية الكبرى.

ومن أبناء الأقباط كان الراهب مينا البراموسى المتوحد أول من اهتم بتاريخ المنطقة فسعى باجتهاد فى الحصول على تصريح من مصلحة الآثار ليسكن هناك فتوجه إلى الإسكندرية عام ١٩٤٣ وتقابل مع الأثرى بانوب حبشى بالمتحف اليونانى الرومانى وعرض عليه فكرة إقامة الشعائر الدينية والسكن بدير مارمينا بمريوط فرحب بالفكرة ووعده ببذل المساعى لدى مدير مصلحة الآثار المصرية. كان هذا اللقاء هو بداية تكوين جمعية مارمينا العجايبى بالإسكندرية والتى تأسست فى نوفمبر ١٩٤٥ واهتمت منذ ذلك الوقت بتنظيم زيارات سنوية إلى مدينة القديس وكانت أول زيارة فى ١٥ مارس ١٩٤٦ والثانية فى ٢٢ يونيو ١٩٤٧ أيضاً كان القمص يوحنا السبكى الأنطونى أول من اهتم بزيارة المنطقة عام ١٩٤٥ ووضع كتاباً بعنوان (ميمر الشهيد العظيم مارمينا العجايبى) تضمن تاريخ القديس ومعجزاته.

وفى عام ١٩٥٧ بدأ الأنبا ثاؤفيلس أسقف دير السريان فى ذلك الوقت فى زيارة المدينة الأثرية بصحبة بعض من رهبان دير السريان وذلك فى عيد القديس مينا وكانوا يقومون بخدمة القداس الإلهى ثم يعودون إلى ديرهم مرة أخرى.

١١ ـ نهضة عمرانية روحية عميقة:

فى ١٠ مايو ١٩٥٩ جلس الراهب المتوحد القمص مينا البراموسى على كرسى القديس مرقس باسم البابا كيرلس السادس البطريرك ١١٦. وفى ٢٢ يونيو ١٩٥٩ طلب من جمعية مارمينا العجايبى بالإسكندرية إعداد سرادق خاص بالمنطقة الأثرية لرغبته فى إقامة قداس بالكنيسة الأثرية وكان هذا أول احتفال بعيد القديس مينا فى العصر الحديث يحضره البابا البطريرك بعد أن انقطعت زيارات الآباء البطاركة للمنطقة زمناً طويلاً لكن هذه الزيارة لم

تكن كافية لتشبع من شغف البابا بالمنطقة فرأى أن يقوم ببناء دير للقديس مينا فى المنطقة واستطاع بحكمته أن يحصل من الحكومة فى بداية الأمر على قطعة أرض تبلغ مساحتها ١٥ فداناً تقع على الحدود الشمالية للمنطقة الأثرية.

وفى ٢٧ نوفمبر ١٩٥٩ بعد أن أقام القداس الإلهى بالمنطقة الأثرية ارتجل جحشاً والشعب يحيط به وساروا شمالاً ما يقرب من ثلاثة كيلو مترات ووضع بيده المباركة حجر أساس الدير وكان قد أسند مهمة كتابة اللوحة الرخامية لطيب الذكر الأستاذ بديع عبد الملك غطاس أحد مؤسسى جمعية مارمينا.وطلب من رئيس الجمعية فى ذلك الوقت طيب الذكر الدكتور منير شكرى أن يشترك معه فى وضع اللبنات الأولى لدير القديس ثم بدأ العمل فى أكتوبر ١٩٦٠ وبارك الرب العمل وتم بناء الكنيسة الأولى فى نوفمبر ١٩٦١ . وتحولت المنطقة إلى مكان صلاة وتسبيح. وفى وصية البابا كيرلس طلب أن يدفن بأرض دير مارمينا. وبعد انتقاله تم نقل جثمانه المبارك إلى دير مارمينا بمريوط فى ٢٢ نوفمبر ١٩٧٢ ودبت الحياة من جديد بالمنطقة. وحالياً يهتم بترميم المنطقة الأثرية عالم الآثار الألمانى الدكتور بيتر جروسمان.

الفصل الثالث عشر

فى أتون التجارب..
صبر .. وتعزية .. ونصرة

* «وجميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى فى المسيح يسوع يضطهدون» ٢ تى ٣ : ١٢

* «متحيرين لكن غير يائسين. مضطهدين لكن غير متروكين مطروحين لكن غير هالكين» ٢ كو ٤ : ٩

* «تعزياتك تلذذ نفسى» مز ٩٤ : ١٩

ولنقترب إلى أتون التجارب، لنرى ماذا صنع رجل الله، وكيف كان الله معه.

مات .. ومات مشروعه السقيم :

ففى السنوات الأولى لحبرية البابا كيرلس ناصبه أحد المطارنة العداء، وسعى لإصدار قرار بتشكيل مجلس وصاية عليه مدعياً أنه رجل غير متعلم، ولا هم له إلا الصلاة فقط وأنه لا يكفى أن يكون البطريرك رجل صلاة، وجال فى أنحاء الجمهورية يجمع توقيعات من الآباء أعضاء المجمع المقدس، وقد حزن البابا كثيراً عندما علم أن من بين أحبائه من وقع له.

وبعد أن فرغ هذا المطران من جمع ما استطاع من توقيعات عاد إلى إيبارشيته ليقدم مشروعه إلى الجهات المختصة ووصل خبر عودته إلى البابا وهو فى الإسكندرية وعند دخوله إلى الكاتدرائية المرقسية لرفع بخور عشية، رفع وجهه نحو السماء، وقال بصوت حزين : "يا مارمرقس ستكون هذه آخر ليلة أدخل فيها عندك، وسأذهب إلى الصحراء، ولا أعود لك مرة ثانية إذا تمت مشورة الراجل ده".

وقبل عشية اليوم التالى، فاضت روح هذا المطران إلى خالقها بعد تناوله مادة سامة بطريق الخطأ.... ومات معه مشروعه السقيم.

طيب روح.. روح :

وآخر جاء إلى البابا عقب اصداره قراراً فى مشكلة من مشاكل الكنيسة، وبدلاً من أن يستوضح حقيقة الأمر، هاجم البابا ولامه دون أن يكون ملماً بالمشكلة وأخذ يردد عبارات لا تليق : "أنت أخطأت... هذا غير جائز... هذا لا يحق". فتضايق البابا، وقال له فى غضب : (طيب روح... روح)، وبعد هذا مباشرة أصيب هذا الشخص بذبحة صدرية، نقل بسببها إلى المستشفى حيث فاضت روحه.

تشاوروا على مسيح الرب :

وآخرون تكتلوا بهدف واحد هو محاربة البابا حتى يفشل، فكانوا يحاولون سد السبل أمامه بشتى الطرق، ساعين لإبعاده، أو وضعه تحت وصايتهم.. ولكن الله رأى ضيقه، وكتب عنده سفر تذكرة. والبابا مع علمه بكل ما يصنعون خطوة بخطوة، كان يقابلهم بوداعة ويحادثهم فى محبة، وكل ما يفعله : صلاة ودموع... لتسير البيعة فى أمان وسلام، ولكنها صلاة المظلوم المتألم... ولم تمضِ سوى فترة قصيرة حتى تركوا عالمنا هذا الواحد تلو الآخر وقد حزن البابا عليهم لسنوات، وهو يقول : "عندما كان يموت أحدهم كان يأخذ جزء من روحى".

روح ربنا يعرف شغله :

عندما أراد البابا يوماً رسامة أحد الآباء الرهبان أسقفاً لإحدى الإيبارشيات، حضر إليه شخص أدعى أنه كبير أراخنة هذه الإيبارشية، وعرفه أنه لا يرضى بهذا الراهب أسقفاً، وأغلظ فى القول لقداسة البابا حتى أنه قال : (لو رسمته ياسيدنا سنرجعه لك مرة ثانية). وعندئذ غضب البابا وقال له : (روح... وربنا يعرف شغله)... ولكنه لم يعد إلى منزله ثانية فقد توفى إثر حادث فى الطريق.

تحرى الصدق :

دأبت إحدى الجرائد على مهاجمة البابا لفترة طويلة ولم تكن تتورع عن أن تنعته بصفات رديئة، وتحاول أن تلصق به أموراً باطلة عارية عن الصحة... كل هذا والبابا يقرأ ويصمت مع أنه يستطيع أن يفعل الكثير.. حتى جاء اليوم الذى أغلقت فيه الجهات المسئولة

تلك الجريدة. وسمع هذا النبأ أحد أبناء البابا الذين كانوا يتألمون لهذا الهجوم، وأقبل يهنئه، قال له البابا : (بتقول أيه.. جريدة (كذا) أغلقت... دى يا بنى فيها عمال كثير... كلهم وراهم أسر يأكلوا منين). وأسف البابا جداً وأتصل بالمسئولين، ولكنهم عرفوه بأن هذه الجريدة انتهى أمرها إلى الأبد. فسعى قداسته حتى ألحق عمالها جميعاً بأعمال طباعة.

ومما يذكر أنه أثناء فترة هجوم الجريدة عليه تقابل مع أحد كتابها، فعاتبه فى محبة ولطف وقال له : "الصحافة يجب أن تتحرى الأمانة، ولكنكم لستم أمناء... كل ما تكتبونه لا أساس له من الصحة... لماذا لم تأتينى لتتأكد... هل بابى مغلق"، وصرفه بالبركة.

هو أيضاً ابنى :

قبض رجال الأمن يوماً على أحد موزعى المنشورات ضد البابا، وكان من أكثر الأشخاص نشاطاً فى هذا المجال فلما علم قداسته بذلك أمر أحد رجال البطريركية بالإتصال فوراً بالمسئولين للإطمئنان عليه فأجرى اتصالاً تليفونياً وعرفهم بأن هذا الشخص من أبناء قداسة البابا ويهمه أمره، فكان رد المسئولين : "لا تقل أنه ابن البابا فليس بين أبناء البابا مجرمين... وعلى كل حال طمئن البابا فإننا لن نؤذيه وسوف نطلق سراحه..."

بداية الأمراض :

وآخر اجتمع مع قداسة البابا اجتماعاً طويلاً، وناقشه فى إحدى المشاكل الكنسية. وعرف قداسته من سياق الحديث أن مدبرى المشكلة هم من أحب أبنائه إليه، فكانت طعنة موجعة له. وبعد ما انصرف هذا الشخص قال البابا : "لقد أتعب قلبى اليوم" ومضى حزيناً مثقلاً، فوقع الكلمات كان مؤثراً. وفى المساء أمرنى باستدعاء السيد الطبيب يوسف يواقيم الذى حضر وقرر أن البابا مصاب بجلطة فى ساقه، ولكن لم يصارحه بذلك، واكتفى بأن طلب إليه تعاطى الدواء فى مواعيده، وأن يخلد إلى الراحة التامة، وسافر الطبيب إلى الإسكندرية، ومن هناك اتصل تليفونياً بالبابا. ولما عرف أنه لم ينفذ تعليماته صرخ قائلاً : "لابد ياسيدنا تأخذ الدواء". وعاد إلى القاهرة فورا، فوجد أن الجلطة سبحت بمقدار ١٠ سنتيمترات فى الدم، فاستدعى (كونسلتو) من الأطباء، قرروا أن يلازم الفراش مدة شهرين... فاستسلم لنصحهم. وأمرنا أن نخفى ذلك عن الشعب لئلا ينزعج أبناؤه، ولكن كل من كان له اتصال بالبطريركية علم بمرض البابا.

ثم أصيب بترسب الكالسيوم فى فقرات الظهر والمفاصل، وظل طريح الفراش شهرين آخرين يعانى آلاماً صعبة.. ومع ذلك كان يلتقى بأبنائه، وهو راقد على فراشه فى أية لحظة، ويسأل عن كل كبيرة وصغيرة فى الكنيسة كلها.

وحدث فى هذه الأثناء أن حضر الأنبا يؤانس مطران الخرطوم للعلاج بالقاهرة، وكان يسأل عن البابا ولايقوى على مقابلته ويقول : "لما يقوم بالسلامة"، ولكن لما طال المرض اضطر للدخول إليه فى قلايته للسؤال عنه، ولم يكد يصل إلى السرير حتى انفجر باكياً قائلاً : "قم يا بابا.. فهذه ليست نومتك.. لمن تريد أن تتركنا.. الرب يبقيك لنا وللكنيسة ولشعبك"، فإستدار البابا متأثراً، وقال له : "أنا بخير والحمد لله، ولا ينقصنى سوى دعواتكم" ورفض أن يتناول شيئاً مما قدم له وهو يقول : "لما يقوم بالسلامة". واسترد البابا صحته بعد مدة ليست بالقصيرة وأقبل نيافته فرحاً مسروراً بسلامة أبيه، يهنئه ويقبله بالفرح.

هذه لمحة سريعة عن الأحزان والتجارب التى تحملها خادم ورسول أمين للمسيح شأنه شأن كل المجاهدين الذين سبقوه مجتازاً من الباب الضيق... سائرا فى الطريق الكرب. وهو لم يخر ولم يفشل وهذه علامة السائرين فى الحق، أولئك المكتئبين فى كل شئ لكن غير متضايقين، متحيرين لكن غير يائسين، مضطهدين لكن غير متروكين، مطروحين لكن غير هالكين.

سيدى وأبى ـ قد صبرت، ليس صبر المغلوب على أمره، إنما صبر القادر.. كنت تستطيع ولكنك آثرت أن تنفذ الوصية.

سيدى ـ كنت تخفى آلامك بابتسامتك، ولا تدعنا نشاركك فيها، إذ ما كنت تبغى عزاء من لدن إنسان، إذ أن الله يفيض عليك به.

ليت روحك تظل معنا.

البابا يودع أبناءه

وقف أحد أولاده يوماً، يمتدح أعماله ومشروعاته داعياً له بطول العمر، فأجابه بقوله : "كلها يا ابنى خمس سنين".. وتنيح البابا بعد مرور خمس سنوات على هذه الواقعة.

كان البابا يسمى الموت سفراً. فكان دوماً يقول على من ينتقل إلى الكنيسة المنتصرة أنه سافر. ولما تنيح القمص بيمن السريانى قال لى البابا فى صباح ذلك اليوم: "أبونا بيمن سافر يا ابنى" فقلت : "لقد سافر فى رضاك عليه" فرد قداسته : "أنا بقولك إنه سافر يا ابنى" فقلت له، وأنا لم أتأكد تماماً مما يعنى : "فى محبتك يا سيدنا"، فقال لى : "أقصد يا ابنى إنه سافر إلى السماء".

وقبل نياحة البابا بأيام قليلة قال لأحد أقاربه كان فى زيارته : أنا عاوز.. عاوز.. "فقال له : "ماذا تريد يا سيدنا، ونحن نحضره لك من أعيننا". فقال البابا : "عاوز... عاوز أسافر" وظن السامع أنه يقصد السفر إلى دير مارمينا، ديره المحبب.. فقال للبابا : "إن الطقس مازال بارداً، إستنا ياسيدنا لغاية ما الجو يدفى شوية. وتبقى تسافر للدير". ولم يعرف هذا الضيف ان البابا يقصد الرحيل إلى السماء، فالبابا حينما كان يسافر لم يكن يبلغ أحداً بذلك إلا ليلة السفر، أو قبله بساعات قليلة.

اعتاد قداسته قبل مغادرة دير مارمينا أن يجلس مع كل راهب من رهبان الدير ويتحدث معه، ويمنحه البركة ويعطيه هدية تذكارية شيئاً من ملابسه الخاصة، ثم يتوجه إلى الكنيسة الكبيرة حيث يصلى صلاة شكر، ويغادر الدير مبتسماً فرحاً. ولكن فى مايو ١٩٧٠ ودع البابا الدير بطريقة مخالفة تماماً. فقد استدعى القمص مينا أڤا مينا أمين الدير، وتحدث معه حديثاً قصيراً، وهو يحاول أن يغالب دموعه، ولكن هى التى غلبته، ثم سلمه عدداً من القلنسوات (١) بعدد رهبان الدير، ثم توجه إلى الكنيستين الموجودتين بالدير، وعمل تمجيداً

(١) القلنسوة هى شريط من القماش الأسود به صلبان يضعه الراهب على رأسه وينزل على عموده الفقرى ويسلم له يوم رهبنته.

للشهيد مارمرقس الرسول والشهيد مارمينا، وهو ممسك بصورة للقديس مرقس كانت معه منذ أن توحد بالجبل. وقد حاول قداسته أن يبتسم أمامنا، ولكنه لم يقدر بل انسابت دموعه غزيرة... ولم يجلس مع أحد منا، بل استقل سيارته ودموعه لم ينقطع سيلها.

لقد رأينا ذلك، وتساءلنا : أين ابتسامة البابا ؟ وأين جلساته الطويلة معنا ؟ ولم يهد لكل راهب منا قلنسوة ؟ وأيضاً ما سر دموعه ؟ ولِمَ كان يمسك صورة القديس مرقس بيده ؟

لقد ظلت هذه أسئلة بلا أجابة، ولم نكن نملك إزاءها إلا أن نبكى تأثراً لهذا الفراق الحزين، ولكنها كانت بالنسبة للبابا الزيارة الأخيرة للدير واللقاء الأخير مع أبنائه الرهبان، والمرة الأخيرة التي يستطيع أن يلقى فيها نظرة على رفات حبيبه وشفيعه مارمينا... نعم من أجل هذا بكى البابا، ولأول مره نراه وهو لا يستطيع أن يتمالك نفسه، وعندما وصلنا الخبر الحزين، قلنا جميعاً ـ نحن رهبان الدير ـ أنه كان يودعنا ونحن لم نفهم، لقد أعطى لكل منا علامة الوداع والوصية (القلنسوة)، ونحن لم ندرك... وبكيناه... لقد كان الأب الحنون والراعى الصالح.

كان البابا فى نصف السنة الأخيرة من حياته معنا على الأرض يعزى أولاده ويصبرهم، وكان يردد : "أصبر يا ابنى".. أو "شد حيلك يا ابنى" ... أو "الرب يدبر أموركم"... أو "الرب يرعاكم"... ولكن أحداً لم يستطع أن يتبين مغزى هذه الكلمات فى حينها. كما ظل البابا لفترة من الزمن يوصى أولاده الموجودين معه بالمقر البابوى وصايا معينة تدور حول الاهتمام بالكنيسة، ففى مرات كثيرة كان يوصى الأب القمص بنيامين كامل سكرتير غبطته بوصايا لم يكن يوصيها لأحد من قبل ولا حتى عند سفره، وكان أبونا بنيامين يخرج من عند البابا متفكراً فيما سمع.

وفى صباح يوم ٨ مارس ١٩٧١ أى قبل نياحته بيوم واحد أمره بالجلوس وقال له "خلاص يا أبونا"، فسأله : "يعنى أيه ياسيدنا"، فرد البابا قائلاً : "خلاص كل شئ انتهى"، فقال له "متقلش كده ياسيدنا.. ربنا يعطيك الصحة وطول العمر "فأجاب البابا قائلاً : "الصحة ؟.. ما خلاص... والعمر ؟.. ما انتهى" وسكت برهة وقال : "خلى بالكم يا أبونا من الكنيسة، اهتموا بيها... وربنا معاكم، ويدبر كل أموركم"... وقبل أن يفيق أبونا بنيامين من صدمة كل كلمة، امتدت يد قداسة البابا إلى جواره وسلمه الدفاتر الهامة التى لم يكن

يتركها لأحد من قبل. وقال له : "ربنا معاكم يا أبونا" وأعطاه البركة والصليب ليقبله علامة انتهاء المقابلة. وخرج القمص بنيامين يبكى، وظل فى حجرة الاستقبال مدة طويلة ساهماً مهموماً.

فى يوم نياحته أتاه سائق سيارته السيد / عزمى واصف سائلاً عن صحته، طالباً بركته، فقال له البابا : "يا ابنى أنا زهقت خلاص أنا عاوز أسافر. احنا مسافرين يا ابنى". فقال له السائق : "أنا تحت أمرك ياسيدنا". وخرج السائق ليجهز للسفر، فقد ظن أنه سيسافر إلى الدير، ولكنه ما كاد يصل إلى نهاية سلم المقر البابوى حتى سمع صراخاً.. لقد سافر البابا.. سافر إلى السماء.

عند جرد حجرة البابا بعد نياحته فوجئ الجميع بأنه أعد كل شئ فيها عالماً أنه سيغادر أرض الشقاء وشيكاً. ووجد فى الدواليب نقوداً موضوعة داخل مظاريف كتب على كل منها ما خصصت له.. فهذا المبلغ لدير مارمينا بمريوط.. وهذا لإتمام ترميم الكاتدرائية المرقسية.. وهكذا كما وجدت وصايا أخرى بمن يقوم بالصرف العاجل، والتوقيع على الشيكات. وأشياء أخرى كانت مرتبة ترتيب من يعلم يوم الرحيل.

قبل نياحة البابا بشهور وكثيرون يرون البابا فى أحلام ورؤى وهو يودعهم، ويمسك بيدهم ويباركهم، وقد سمعنا قصصاً من كثيرين ممن نثق فيهم ولكنى هنا اكتفى بواحدة منها :

قال لى راهب بأحد الأديرة (رفض ذكر اسمه) أنه قبل نياحة البابا بأربعين يوماً رأى فى رؤيا الليل رئيس ديره وقد حضر إلى قلايته ودعاه لمقابلة البابا... مبلغاً إياه أن هذا هو أمر قداسته. وتوجها معاً بسيارة إلى مكان غريب لم يره من قبل وكأنه صالة كبيرة بها مائة شخص تقريباً، ورأى البابا يقف فى ركن الصالة وحيداً بجوار بناء رخامى كبير، ولاحظ الراهب أن رئيسه لم يتوجه إلى البابا إذ أقبل عليه الناس يكلمونه، فاستولت عليه الدهشة وقال فى نفسه : "ما بالى انتظر، فلأتوجه إلى البابا لأنه هو الذى طلب حضورى.. وتوجه إليه فعلاً وكان بملابس نومه البسيطة وسقط عند قدميه باكياً بكاء مراً. فأقامه البابا برفق قائلاً "قوم متبكيش يا ابنى" فقام الراهب ووجد البابا ايضاً وقد امتلأت عيناه بالدموع.. فقال لقداسته : "ياسيدنا لقد تغير منظرك جداً "، فأجابه البابا : "كل شئ انتهى يا ابنى... فقال له الراهب بالبكاء الشديد : "احنا عايزينك يا سيدنا" فرد البابا "ربنا عايز كده.. خلى بالك من

الكنيسة والدير"، وبكيا معاً بكاء مراً. ولكن البابا أمسكه وقال له : "تعالى يا ابنى نعمل تمجيداً لمارمرقس" وعملا معاً التمجيد بصوت جميل باكٍ... استيقظ الراهب على صوت جرس نصف الليل، فوجد عيناه ويداه وقد امتلأتا بالدموع وذهب إلى كنيسة الدير باكياً حزيناً.

ويقول هذا الأب الراهب أنه عندما حضر للمشاركة فى صلوات التجنيز على روح البابا، بكى إذ وجد أن المكان الذى دفن فيه هو نفس المكان الذى شاهده فى الرؤية منذ أربعين يوماً، وأن المقبرة الرخامية هى نفسها بذات تفاصيلها التى رآها. والأمر الذى أدهشه أنه عرف أن المقبرة لم تكن معدة من قبل بل أعدت بعد نياحة البابا مباشرة.

عند وجود البابا فى دير مارمينا ١٩٦٩ وافق على إجراء ترميمات لحجرته الخاصة بالمقر البابوى والتى لم يجر لها أى ترميم منذ سيامته، وكان يحتفظ فيها بصورة أثرية للقديس مرقس، ولما عاد البابا لم يجد الصورة، واستمر البحث عنها مدة طويلة إلى أن وجدها أحد السعاة فأسرع بها إليه فأخذها وقبلها بفرح وبكاء، وأخذ يعاتب مارمرقس الذى تركه طوال هذه المدة، وطلب منه أن يشفيه من مرضه أو يريحه من أتعابه، وبعدها بثلاثة أيام... رقد فى الرب...

السفر إلى السماء



«من سيغلب فسأعطيه أن يجلس معى فى عرشى
كما غلبت أنا أيضاً وجلست مع أبى فى عرشه» (رؤ ٣: ٢١)

فى يوم الثلاثاء ٩ مارس ١٩٧١ (٣٠ أمشير ١٦٨٧ للشهداء) استيقظ البابا فى الساعة الخامسة والنصف صباحاً، وصلى فى قلايته وبعدها استمع إلى القداسات التى أقيمت بالكاتدرائية عن طريق السماعة الموضوعة بقلايته.

قام السيد الطبيب المقيم بالمقر البابوى بالكشف على قداسته واطمأن على صحته. وبعد ذلك سمح بدخول أبنائه إليه ليمنحهم البركة ويطمئن عليهم، وكان يقول لهم.. "الرب معكم... الرب يدبر أموركم".

قابل السيد المقاول ميخائيل عزيز أقلاديوس وسأله، عن أعمال الترميم الجارية بالكاتدرائية المرقسية القديمة. وطمأنه إلى وجود المال اللازم، وقال له : "شد حيلك يا ابنى ومتخفش".

سأل البابا قبل أن يغلق بابه عما إذا كان هناك أحد من أبنائه يريد مقابلته، ثم رفع يده ممسكاً بالصليب ونظر إلى من حوله وهم الآباء الأجلاء : القمص مرقس غالى وكيل البطريركية، القمص جرجس متى مدير الديوان البطريركى، القمص بنيامين كامل سكرتير قداسته، وكذلك بعض الآباء مندوبى هيئة كهنة القاهرة، واللجنة البابوية لشئون الكنائس، وشماسه الخاص والسعاة وموظفى البطريركية، وقال لهم : "الرب يدبر مصالحكم"... وقبل الجميع يد البابا وكانت قبلة الوداع.

وما كادوا ينصرفون حتى سمعوا صراخ شماسه طالباً استدعاء الطبيب وعلى الفور عادوا جميعاً، ولكنهم انفجروا باكين... لقد سافر البابا...

حضر الأطباء ووضعوا بعض العقاقير الطبية حول الجسد الطاهر للحفاظ عليه، وقاموا بهذا العمل ولم يكن معهم سوى القس تداوس.. الذى قال له البابا يوماً : "أنت تشبه طوبيا"، وكان طوبيا يقوم بدفن فقراء الشعب الإسرائيلى وقت السبى.

ثم أجلس البابا على كرسيه داخل حجرة نومه، وسمح للقليل من أبنائه الباكين من تقبيل يديه وإلقاء نظرة الوداع.

وبعد ذلك ألبس ملابس الصلاة البيضاء والتاج المذهب الذى لم يلبسه إلا نادراً رغم أنه ترك وصية فى دير مارمينا طلب فيها أن يدفن بالملابس التى توجد عليه وقت الوفاة، ولكن أحداً لم يكن أطلع عليها، وقد سمح الله بذلك حتى يكرم البابا فى وفاته، وهو الذى لم يكرم نفسه فى حياته. كما سمحت العناية الإلهية أن يدفن فى صندوق فاخر ورد من الخارج قبل نياحة البابا بأربعة أيام وهو مصنوع من الألومنيوم المؤكسد، ومبطن من الداخل بالقطيفة، وله غطاء بلورى.

وفى يوم ١٠ مارس فى الساعة الخامسة صباحاً أنزلوا الجثمان الطاهر إلى الكاتدرائية وأجلسوه على كرسى البابوية الذى لم يجلس عليه إلا قليلاً. وتوافد الأبناء والأحباء ومواطنون من مختلف المذاهب والعقائد لالقاء النظرة الأخيرة على جسد حبيبهم الذى سافر، وكانوا يدخلون فى نظام دقيق : طابورين إحدهما للرجال وآخر للنساء، وظل الجسد على كرسيه طوال النهار وطوال الليل. ويقدر البعض عدد الذين وفدوا إلى المقر البابوى فى هذين اليومين بما لا يقل عن مليون شخصاً. كما حضر إلى المقر البابوى للعزاء مساء ذات اليوم

السيد / أنور السادات رئيس الجمهورية والسيد نائب رئيس الجمهورية، والسيد رئيس الوزراء والسادة أعضاء اللجنة التنفيذية للإتحاد الإشتراكى العربى وغيرهم كثير من الشخصيات الرسمية، ورجال السلك الدبلوماسى.

وفى صباح يوم ١١ مارس، الساعة الخامسة صباحاً نقل الجسد الطاهر إلى الكاتدرائية الجديدة بالأنبا رويس حيث أقيمت صلاة التسبحة والقداس الإلهى، وقد خلع عن البابا التاج الكبير، وألبس عمامته السوداء، والبلين الأبيض ووضعت عصا الرعاية فى يده والتى لم يتركها لحظة فى حياته، وصليبه فى يمينه الذى حمله بأمانة وصبر، وظهرت منه آيات وعجائب كثيرة.

وبعد الظهر أقيمت صلاة التجنيز شارك فيها جميع الآباء المطارنة والأساقفة ورؤساء الأديرة، وآباء من الكنيسة الأثيوبية، ومن الكنائس الشرقية الشقيقة وعدد كبير من الآباء الكهنة من مختلف البلاد وجموع غفيرة من أبناء الشعب امتلات بهم الكاتدرائية وظل كثيرون خارجها يستمعون إلى الصلاة من خلال مكبرات الصوت.

وقد حضر الصلاة السيد رئيس الوزراء والسادة الوزراء، ورجال الاتحاد الإشتراكى ومندوب السيد شيخ الأزهر، ورجال الأمن والعديد من الرسميين، ورجال السلك الدبلوماسى، ووفود من لبنان وسوريا وأنطاكيا والكنائس الشرقية. كما حضر القاصد الرسولى الذى قطع أجازته، وأوفده قداسة بابا روما خصيصاً مندوباً عنه.

وبعد الصلاة حمل الجسد الطاهر على الأعناق، وأنزل إلى المدفن ـ الذى أعد بسرعة ـ وسط ألحان جنائزية اختتمت بصلوات : "أفنوتى ناى نان"، و "كيرليصون"

"نسأل ونتضرع إليك يا الله محب البشر، المحسن إلينا أقبل إليك بسلام هذه الوديعة الخالصة. والنفس الطوباوية التى لأبينا المحب البابا البطريرك الأنبا كيرلس السادس هذا الذى أتى إليك يا الله الحى إذ هو وكيلك الذى كان فى كنيستك المقدسة وبيده كتاب وكالته. أعطه أجراً سماوياً ورتبة حسنة ليكون مشاركاً للذين سبقوه من الرعاة المعلمين الذين فسروا كلمة الحق باستقامة".

يا من حسبت كالأربعة والعشرين قسيساً الواقفين حول عرش الحمل.. اذكرنا أمام الرب القدوس...

نقل الجسد الطاهر

إن العلاقة الوطيدة بين البابا كيرلس، والشهيد العظيم مارمينا توحي بأن جسديهما لابد وأن يتلازما إلى النهاية فوصية البابا بدفن جسده في مريوط كانت أمراً منطقياً ومؤكداً لمن يعرف عشقه لشفيعه العظيم. وكان دفن جسده الطاهر فى المقبرة التى أعدت على وجه السرعة أسفل الكاتدرائية المرقسية بالأنبا رويس، هو إجراء مؤقت لحين إعداد مدفن بدير مارمينا، وهو الأمر الذى استغرق عاماً ونصف عام، قرر بعدها قداسة البابا شنوده الثالث نقل الجسد تنفيذاً لوصية البابا كيرلس.

فبعد ظهر الأربعاء ١٩٧٢/١١/٢٢ (١٣ هاتور ١٦٨٩) أخرج الجسد الطاهر من مدفنه، ووضع أمام الهيكل بالكاتدرائية المرقسية، وقام قداسة البابا شنوده برفع بخور عشية، ثم ألقى كلمة عدد فيها الأعمال العظيمة التى أنجزها البابا كيرلس السادس، وبعدها قرأ الوصية التى كتبها البابا لدفنه بدير مارمينا بمريوط. وفى الصباح الخميس ١٩٧٤/١١/٢٣ تحرك ركب يرأسه نيافة الأنبا صموئيل إلى دير مارمينا فى صحبة الجسد الطاهر. وتوجه الركب ـ فى طريقه صوب الدير ـ إلى الكاتدرائية المرقسية (بالأزبكية) نظراً لأن البابا كيرلس كان يكن لها حباً خاصاً، ولأنه أمضى بها فترة رئاسته. كما سافر قداسة البابا شنوده إلى الدير فى ذات اليوم.

وقد ودعت سماء القاهرة البابا كيرلس وداعاً حزيناً باكياً منذ مساء الأربعاء ١٩٧٢/١١/٢٢، فى اللحظة التى أخرج فيها الجسد الطاهر من مدفنه تمهيداً لنقله، حيث بدأ المطر يتساقط. وغطت الظلمة وجه السماء طوال يومى الخميس والجمعة، وصاحب ذلك أمطار غزيرة لا تنقطع أما الإسكندرية، وهى تستعد لاستقبال الجسد الطاهر، فقد انعكس الحال فيها، فأمطرت السماء رزازاً خفيفاً، إذ حدثت مفاجأة جوية، كقول خبراء الأرصاد الجوية. ونشرت جريدة الأخبار تصريحاتهم فى عددها الصادر يوم ١٩٧٤/١١/٢٤. وقد نشر (أبناء البابا كيرلس) قصاصات منها فى كتاب (معجزات البابا كيرلس السادس ـ الجزء الأول).

وخلال يومى الخميس والجمعة والدير يموج بأعداد غفيرة من الزوار أقلتهم حوالى ستون سيارة أتوبيس، ومائتا سيارة خاصة، بخلاف ألفى شخص تقريباً وفدوا بواسطة القطارات. وعندما وصل الجسد الطاهر إلى الدير حمله أبناؤه الرهبان إلى داخل الكنيسة، وشاركهم فى ذلك عرب المنطقة، وهم يبكون رحيل البابا كيرلس. وقام قداسة البابا شنوده والآباء المطارنة والأساقفة برفع بخور عشية، ثم وضع الجسد فى مزاره الحالى وسط الصلوات والتسابيح التى استمرت حتى صباح اليوم التالى (الجمعة) حيث أقيمت القداسات، وألقيت الكلمات المناسبة. وبعدها تبارك الجميع من الجسد الطاهر، وغطى المدفن بغطاء رخامى ضخم.

ولما رجع الجميع سالمين بدأ المطر يهطل بغزارة فى منطقة لأول مرة منذ أكثر من أربع سنوات، فامتلأت الآبار وارتوت زراعات البدو الذين يفرحون لذلك، وجاءوا إلى الدير شاكرين ومهنئين الآباء الرهبان بوصول جسد البابا. ومنذ ذلك الوقت، وكل عام، والمطر ينزل فى مواعيده علامة يمن وبركة، مما يزيد فى تكريم جسد البابا، وإحياء لذكراه العاطرة.

والمدفن الحالى ـ الذى يقع تحت هياكل كاتدرائية الدير ـ على جانب كبير من العظمة والروعة، وهو يليق بذلك الناسك العظيم الذى قدم جسده بخوراً على مذبح الصلاة الروحية بمحبة وشوق، نابعين من قلب مفعم بحب مخلصنا له المجد. وكأن الله وحبيبه مارمينا أرادا أن يكرماه وهو لم يسع لتكريم، تمسكاً منه بتواضعه ونسكه، هارباً من الكرامة، محتقراً أباطيل العالم. وقد شهد البابا شنوده، ونيافة الأنبا صموئيل أسقف الخدمات فى إحدى الزيارات بأنهما لم يشاهدا مثل عظمة وهيبة ووقار مقبرة البابا كيرلس السادس بين كثير من مقابر عظماء من بطاركة العالم. وهى تعتبر الآن مزار مقدس. إذ يقيم زوارها التماجيد، ويرفعون التراحيم، فتصرع الأرواح، وتبرأ الأجساد من أسقامها، ويشتم بخور ذو رائحة جميلة متميزة كما حدث مع كثيرين، ومن بينهم شمامسة من مدينة طنطا.

وقد شاهد ـ ذات مساء ـ بعض أفراد رحلة من أبو قرقاص بصحبة القس يوحنا عزيز، والشماس نظمى عياد من المنيا، البابا كيرلس السادس، بملابس الصلاة، يتمشى أمام المزار. وقد قصوا ما رأوه لمن كان فى الدير، والدموع تنساب من عيونهم.

المراجع

١ ـ الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد

٢ ـ قالوا عن البابا — لقداسة البابا شنوده الثالث

٣ ـ مذكراتى عن حياة البابا كيرلس السادس — بقلم حنا يوسفق عطا (شقيق قداسة البابا)

٤ ـ مذكراتى عن حياة البابا كيرلس السادس — بقلم القمص رافائيل آفا مينا

٥ ـ البابا كيرلس الرابع الـ ١١٠ (أبو الأصلاح) — للمتنيح القس زخارياس الأنطونى

٦ ـ جريدة وطنى — بقلم د. مينا بديع عبد الملك

٧ ـ جريدة وطنى — بقلم مجدى سلامة

٨ ـ قصة الكنيسة القبطية جـ ٧ — بقلم إيريس حبيب المصرى

٩ ـ مجلة المحبة لسنة ١٩٦٩ ، ١٩٧٠

الفهرس

صفحة

البابا كيرلس السادس.. كانت له مكانة خاصة بين بابوات الإسكندرية السابقين.. كان رجلاً له شخصيته القوية الحازمة. وفى نفس الوقت يتميز بالبساطة، فكان رجلاً لطيفاً. له إبتسامة رقيقة تؤثر فى من يزوره... إن رجلاً عنده فضيلة الصمت.. يسمع أكثر مما يتكلم. وكان أيضاً يتميز بقوة الذاكرة يندر أن يوجد مثله. وكان يتبسط مع الناس، ويكلمهم بروح وديعة فأحبه الجميع.. كان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر يحبه محبة خاصة، ويكرمه إكراماً كثيراً، ويثق به لشخصيته العظيمة الوطنية.. والرئيس أنور السادات تكلم عنه كلاماً جميلاً.. ونحن نعرف كلنا صلته القوية بدير مارمينا بصحراء مريوط.. ولست أدرى عندما تصعد روح البابا كيرلس ليلاقى القديس مارمينا فى الأبدية بأى طريقة سيتقابلان؟ لأنه لم يحب أحداً فى حياته أكثر من مارمينا.

قد كان رجلاً كنسياً.. وطقسياً.. وشعبياً.. وما للكنيسة...

البابا المعظم الأنبا شنودة ال





مكتبة المحبة : ٣٠ شارع شبرا. القاهرة ت. : وفاكس : ٥٧٥٩٢٤٤ (٢٠٢) . ٥٧٧٧٤٤٨ (٢٠٢)
E-mail : Mahabba5@hotmail.com تليفون : ٥٧٥٨٢٦٢ (٢٠٢) . ٥٧٨٢٩٣٢ (٢٠٢)